IUGJEPS
Vol 28, No 2, 2020, pp 251 -281

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2019-01-03)، تاريخ قبول النشر (2019-02-04)

المرأة في الخطاب المسيحي القديم والمعاصر

اسم الباحث الأول: أنفال جاسم الكندري [1] *

اسم الباحث الثاني : أ.د. محمد أحمد الخطيب [2]

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) طالبة دكتوراه- الجامعة الأردنية

[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني) أستاذ العقيدة والأديان والفرق- الجامعة

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address anfalalkanderi@gmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تناول موضوع المرأة في الخطاب المسيحي القديم والمعاصر، والتطرُّق إلى المقارنة بينهما، وتناول أوجه الاتفاق والاختلاف، وبيان أبرز التحوُّلات بينهما.

بعد البحث والمقارنة، وجدتْ الباحثة أنَّ الخطاب المسيحي المتعلِّق بالمرأة مرَّ بعدَّة مراحل متغيِّرة، مما جعلته يتبلور حول صفتي التناقض والازدواجيَّة، وخلق صورة متغيِّرة متأثرةً بعوامل وتطورات متعلقة بالتغيُّرات التاريخيَّة، والتغيرات العقديَّة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، المرأة في المسيحيَّة، الخطاب الديني.

Woman In The Old and Contemporary Christian Discourse

ABSTRACT

This study aimed to addressing the topic the woman in the Christian discourse. The old and the Contemporary, The study included the comparison between both discourses, their similarities, differences and showed the main transformation between them. after search and comparison, The researcher reached that the Christian discourse regarding The woman has passed several changing stages, which made if revolves around The contradiction and duality features, and creating a changing picture influenced by factors and developments, related to the historical and contractual changes.

Keywords: Woman, Woman in Christianity, Religious discourse.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن الدافع الرئيسي لاختيار موضوع "المرأة في الخطاب المسيحي القديم والمعاصر"، هو فَهْم وتحليل الخطاب الديني الموجَّه للمرأة المسيحية منذ بدايته الأولية، ورَصْد تطوراته المرحلية، من خلال بُعْد معرفيّ ومنهجيّ يعكس التصورات المختلفة للخطابات المتعلِّقة بها؛ للوصول إلى تصوُّر عن وضع المرأة المسيحية منذ نشأة خطابات الدين حتى واقعنا المعاصر.

مشكلة الدراسة:

كانت هذه الدراسة لمحاولة استكشاف أوجه الاختلاف والاتفاق بين الخطاب المسيحي القديم والمعاصر للمرأة.

أسئلة الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مدى توافق الخطاب المسيحي مع واقع المرأة؟
- ما أوجه الاختلاف والاتفاق بين الخطاب الديني القديم والمعاصر الموجَّه للمرأة؟
- هل تغيَّرت صورة المرأة المسيحية باختلاف المراحل التاريخية في المسيحية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في عِدَّة أمور جاءت على النحو الآتي:

- حيوية موضوع المرأة في الواقع المعاصر.
- إثارة التساؤلات، وطرح الرؤى والأفكار النسويَّة الغربية الحديثة يَخلق حاجة إلى دراسة وضع المرأة قديمًا وحديثًا في الديانة المسيحية.
- أهمية دراسة موضوع المرأة في الديانة المسيحية دراسة تستند إلى التأصيل العلمي والتاريخي.
- الحاجة إلى طَرْح دراسات معاصرة متخصِّصة تهتم بشؤون المرأة.

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة في عدة أمور؛ جاءت على النحو الآتي:

- عقد مقارنة بين الخطاب الديني المتعلّق بالمرأة المسيحية قديمًا وحديثًا.
- بيان واقع المرأة المسيحية، والبحث في علاقة الواقع بكلٍّ من الخطاب القديم والمعاصر.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: المرأة في الخطاب المسيحي القديم

المطلب الأول: المراحل التي مرَّ بها الخطاب المسيحي القديم.

المطلب الثاني: صورة المرأة في الخطابات الناتجة عن المصادر المقدسة.

المبحث الثاني: المرأة في الخطاب المسيحي المعاصر

المطلب الأول: المراحل التي مرَّ بها الخطاب المسيحي المعاصر للمرأة.

المطلب الثاني: أهم القضايا والمظاهر التي تناولها الخطاب المسيحي المعاصر للمرأة.

الخاتمة ونتائج البحث.

المبحث الأول

المرأة في الخطاب المسيحي القديم

إنَّ المقصود بالخطاب الديني هو الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته.[1] لذا يمكن القول بأن الخطاب المسيحي هو الخطاب الذي يعتمد على الأصول المسيحية كمرجعية في مخاطبته وأحكامه وبيانه، فهو بناء فكري يتعلق بوجهات نظر دينية يُعبِّر فيها المخاطِب لجمهور (أو مجموعة) من المخاطَبين، سواءً كان الخطاب مكتوبًا أو منطوقًا أو كان على شكل صورة.

فالخطاب المسيحي يشمل النصوص المقدَّسة المُعتبرة عند المسيحيين، ومنظومة الفكر التي تتشكل على هيئة خطابات دينية ناتجة عن مؤسسات دينية كالكنائس، وممثليها رجال الدين والقساوسة، أو أي شخص ذي سلطة دينية مُعتَبرة.

إن الخطاب المسيحي يحتوي على مواضيع عديدة؛ عقائدية، تشريعية، اجتماعية، وتاريخية، وغيرها من المواضيع التي تشكل جزءًا أساسيًّا من حياة الفرد في المجتمع؛ كونه يعتنق الدين المسيحي. تغيرت هذه الموضوعات باختلاف أشكالها، وتغييرها تزامن مع الأحداث التاريخية، والتطورات المرحلية، والتأثيرات التي دخلت على الديانة المسيحية.

ومنذ نشأ الخطاب المسيحي، كانت المرأة جزءًا من هذا الخطاب؛ بحيث شهدت مراحله التطورية، وتغيراته التدرجية؛ لذا فقد مرَّت المرأة في الخطاب الديني المسيحي القديم بمراحل متناقضة؛ وذلك بسبب ما عانته المسيحية من تطوُّر وتغيُّر في المراحل الأولى المبكِّرة من نشأتها؛ مما شكَّل وجهات نظر متضاربة حول المرأة؛ فالمراحل التاريخية، والتطور الناتج من تلك المراحل، كان له بالغ الأثر في تشكيل هذه المواقف المتناقضة.

جدير بالذكر أنَّ المسيحية مرَّت باضطهادات(2) أثناء نشأتها وتكوينها أدَّت إلى حدوث الاضطراب في الأناجيل، مما تسبَّب في فقدان سندها المتصل بصاحب الشريعة.(3) وإن دلَّ ذلك على شيء فيدلّ على أن الشريعة تحمل وجهات نظر كاتبيها، وليس الدين نفسه، مما سيؤدي –لا محالة– إلى وجود نصوص مضطربة ومتناقضة، في المسائل الاعتقادية، والتشريعات، وغيرها الكثير.

إنَّ غياب تجانس النَّسَق الديني المسيحي خَلَق فرصة أكبر لدَسّ أفكار موروثة انطبعت في أذهان رجال الدين، مما جعَلهم يَستخدمون سلطتهم الدينية في فَرْض تلك الاعتقادات الموروثة.

المطلب الأول: المراحل التي مرَّ بها الخطاب المسيحي القديم

(1) أبو المجد، عبدالجليل، حارث، عبد العالي، تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، (ص11).

(2) مرت المسيحية باضطهادات عديدة؛ كان أولها في عهد المسيح، وما لاقاه من مناوأة اليهود له، والكيد له إلى أن انتهى الأمر بتمكين الحاكم الروماني من إصدار الحكم عليه بالإعدام صلبًا، ومن ثَم توالت من بعد المسيح الشدائد فجاء قيصران من بعد طيباروس الذي عاصر المسيح، كانا شديدين على تلاميذه، وقتلا منهم قتلاً ذريعًا، وفي زمن ثانيهما دوَّن متى إنجيله بالعبرية، وترجمه يوحنا صاحب الإنجيل إلى اليونانية، واشترك كل من الرومان واليهود في ممارسة الاضطهاد في عهد هذين القيصرين، وأشد ما نزل من أذى كان في عهد نيرون وتراجان وديسيون ودقلديانوس، فنيرون أهاج الشر عليهم، واتهمهم بأنهم أحرقوا روما، ويذكر بأنه وأتباعه تفننوا في هذا العذاب، وفي عصر نيرون دوَّن مرقس الإنجيل. واستمر البلاء ينزل من قياصرة الروم حتى جاء عهد قسطنطين؛ انظر: أبا زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، (ص31–33)، ومن المهم الإشارة إلى أن التدوين في ظل هذه الاضطهادات وَلَّد اضطرابات في الأناجيل، والنتيجة تضارب وتناقض النسق الديني المسيحي.

(3) انظر: أبا زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، (ص34).

إنَّ المسيحية مرَّت بمرحلتين أساسيتين مختلفتين؛ هما: مرحلة المسيح –عليه السلام–، ومرحلة بولس، ومِن ثَم مَن خطا على خطاه من رجال الكنيسة. لذا يمكن القول بأن المرأة مرَّت في خطابات الفكر المسيحي بثلاثة أطوار رئيسية، وهي:

أولاً: المرأة في خطاب المسيح –عليه السلام–:

أوْلَى المسيح –عليه السلام– النساءَ عنايةً خاصةً، ونَعِمَتْ بمركز مرموق في عهده، ويتبين ذلك من خلال مواقفه مع المرأة، التي تُظهر مدى عنايته الجليلة بهن، وخطاباته التي تشير إلى مدى عمق تقديره للمرأة:

أ) **خطاب تأديبي:** وهو الخطاب الذي توجّه به لإرشاد المسيحيين إلى التأديب المعنوي الداخلي للنفس، بحيث يتم ضبط الزنى معنويًّا قبل وقوعه فعليًّا؛ وذلك عن طريق تأديب النظر للمرأة.

(وقد سَمِعتُم أنهُ قيل للقُدَماء: لا تَزْنِ، وَأمّا أنا فَأقولُ لكُم: إنّ كُل مَن ينَظر إلى امرَأة ليَشتَهيها، فقَد زَنى بِها في قَلبه)(1)؛ فقد كان المسيح –عليه السلام– يحرص على المحافظة على المرأة وصورتها، حتى من خلال النظر إليها، فوجَّه خطابه إلى دعوة الناس إلى تأديب أنفسهم، وذلك بنبذ الزنى، بل والتشديد على مَن يقع فيه معنويًّا قبل أن يكون فعليًّا.

وموقفه مع المرأة الزانية؛ ورد في إنجيل يوحنا عن السيد المسيح، أنه قدم ذات مرة إلى الهيكل ليعلّم تلاميذه، أو قدَّم إليه أحدهُم امرأة أُمْسكَت في زِنا، ولمّا أقامُوها في الوَسَط، قالوا لَه: "يا مُعَلّم! هذِه المَرأة أُمسِكَت وهي تَزني في ذات الفِعل، ومُوسى في الناموسِ أوصانا أن مِثل هذه تُرْجَم، فماذا تَقول أنت؟"؛ قالوا هذا ليجرّبوه لكي يَكُون لهُم ما يحتجُّون بهِ عليه، وكان يَسُوع منحنيًا إلى أسفل يَكتبُ بأصبعهِ على الأرض، ولمّا استمروا يَسْألونه انْتصَبَ، وقال لهُم: "مَن كان منكم بلا خطيئة، فليَرمِها أولاً بحَجَر"، فلما سمعوا ردّه وكانت ضمائرهم تبكّتهم خرجوا واحدًا فواحدًا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين، وبقي يسوع وحده والمرأة، فقال لها: "يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أمَا دانك أحد؟ قالت: "لا أحد يا سيد"؛ فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضًا".(2)

ب)**خطاب إرشادي:** أبدى المسيح –عليه السلام– إعجابه بإيمان بعض النساء، فقد قال علنًا للمرأة الكنعانية[3]: (يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ)[4].

ت)**خطاب قِيَمي إنساني:** وهو خطاب مبنيّ على حُسْن معاملة المرأة، ويتبين ذلك من خلال مبادرته في علاج نساء مريضات كحماة بطرس[5]، (وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ بُطْرُسَ، رَأَى حَمَاتَهُ مَطْرُوحَةً وَمَحْمُومَةً، فَلَمَسَ يَدَهَا فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى، فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ) [6]، وكذلك خطابه المبني على إظهار الرحمة بالنساء؛ كخطابه بشأن المرأة الخاطئة: (ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: «أَتَنْظُرُ هذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قُبْلَةً لَمْ

(1) الكتاب المقدس، إنجيل متى [5:27,28].

(2) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، [8:2–11]. انظر: بر، فتنت، حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، (ص55).

(3) بندلى، كوستي، المرأة في موقعها ومرتجاها، (ص73).

(4) الكتاب المقدس، إنجيل متى [15:28].

(5) بطرس الرسول أو سمعان بن يونان، وهو أخو أندراوس تلميذ يوحنا المعمدان، ولعله كان تلميذًا له أيضًا، من بيت صيدا على ساحل بحر الجليل، كانت مهنته صيد السمك، وتنقسم حياته إلى قسمين؛ أولهما من دعوته إلى صعود المسيح، وثانيهما من الصعود إلى نهاية خدمته على الأرض، ويمكن تقسيم الفترة الأولى منهما إلى ما حدث قبل أسبوع الآلام، ثم ما حدث بعد ذلك حتى صعود الرب، كان يعرف عنه أنه يجول يخدم مصطحبًا معه زوجته، وأنه كتب رسالتين؛ إذ إن الرسالة الثانية قد كتبها قرب نهاية حياته، توفي في رومية حوالي 67م، وهو في نحو الخامسة والسبعين من عمره. دائرة المعارف الكتابية، (مج2 /153).

(6) الكتاب المقدس، إنجيل متى[8:14] .

تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ بِزَيْتٍ. لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ؛ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً، ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ).[1]

ث) خطاب إصلاحي: **وهو خطابٌ عالَج من خلاله قضايا كانت متفشية في المجتمع، وكانت تحط من قدر المرأة، لذا قيَّدها بأحكام إصلاحية جديدة، كموقفه من الطلاق، ويذكر أن المسيح –عليه السلام– جاء إليه الفريسيون[2] ليسألوه في مسألة الطلاق قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سببٍ؟ فأجاب قائلاً لهم: "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ، قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟ قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا، وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي".[3] ويظهر من ذلك أن المسيح أراد أن يُضيّق دائرة الطلاق التي كان يُسْمَح بالتعامل بها مِن غير ضوابط ولا حدود.[4] إضافة إلى ذلك، فقد منع المسيح –عليه السلام– أن تصبح المرأة إرثًا لشقيق زوجها المتوفى(5)؛ كما كان الحال في الشريعة اليهودية.**

ويجدر بالذكر أن للمسيح مواقف عديدة تبيّن عِظَم موقفه مع المرأة، ومن أمثلة ذلك:

- اصطحب عددًا كبيرًا من النساء يلازمنه ويسرن معه.(6) (وَعَلَى أَثَرِ ذلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ[7]

(1) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا[7:44–49] .

(2) الفريسيون: إن اللفظ فريسي مشتق من الكلمة العبرية "فرش" بمعنى فرز أو عزل أو فصل، وعليه فالفريسيون هم المنفرزون أو المنعزلون. دائرة المعارف الكتابية، (مج6 /47).

(3) الكتاب المقدس، إنجيل متى [19:3–12] .

(4) ويبدو أن موقف المسيح من الطلاق مبني على إعادة الزواج إلى نموذجه الإلهي الإنساني الأصلي كما في المعتقد المسيحي، إذ يُعتقد أن المسيح استبعد من خلال هذا التشريع الجديد بشكل قطعي أي احتمال لاعتبار المرأة شيئًا يُقتنى ثم يُستغنى عنه إذا انقضت الحاجة إليه. (انظر: فاخوري، مها، حقوق المرأة في المسيحية، منشورات النور، بيروت، 1998م، (ص46).

(5) انظر: حامد، باسمة، المرأة في إسرائيل، (ص15).

(6) المسكين، الأب متى، المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعيَّة والدينيَّة في الكنيسة الأولى، (ص28).

(7) أطلق عليها المجدلية؛ لأنها كانت من مجدل على شاطئ بحر الجليل، وهي سيدة ثرية، وهي من النساء اللواتي عالجهن المسيح. دائرة المعارف الكتابية، (مج102/7).

الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ. وَيُونَّا [1] امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ [2]، وَسُوسَنَّةُ[3]، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ)[4].

- علَّم النساء وتعلمن منه؛ (وَكَانَتْ لِهذِهِ أُخْتٌ تُدْعَى مَرْيَمَ، الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ).(5)
- حاور النساء وتحاورن معهن، ومن أمثلة ذلك حوار مرثا مع المسيح (فَقَالَتْ مَرْثَا [6] لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ ههُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!).[7]

وبناءً على ما سبق؛ يمكن القول بأن المسيح –عليه السلام– عَامَل المرأة بما يَليق بها، وأعطاها مكانة مرموقة، وحاول مِن خلال مواقفه أن يُغيّر العادات السائدة التي كانت تَضطهد المرأة، ويمكن بوضوح اكتشاف المنهج الذي سار عليه المسيح –عليه السلام– في وَضْع أسلوب جديد للتعامل مع المرأة، من بعد اضطهاد دام فترة طويلة تحت ظل التقاليد اليهودية الشديدة التي تحتكرها في إطار الذلّ والعبودية.

إنَّ ما سارت عليه المسيحية من نَهْج جديد نحو تحرير المرأة من عبودية التقاليد اليهودية، ومن خطابات رجال الدين المتزمتة لم يدم طويلاً، بل إنَّه عاد من جديد إلى ما كانت تدعو إليه اليهودية من خطابات متشدِّدة في حق المرأة.

والجدير بالذكر أنَّ هذه المرحلة التي تلت مرحلة المسيح –عليه السلام–، ترجع إلى بولس؛ حيث رجعت الخطابات المتعلقة بالمرأة إلى حيث كانت.

ثانيًا: المرأة في خطاب بولس

كان بولس –أو شاؤول قبل اعتناقه المسيحية من طرطوس بآسيا الصغرى– يهوديًّا من أهل مدينة غير دينية Cilicia (8)، وذلك يفسِّر إلمامه باللغة اليونانية، وقد اكتسب المواطنة الرومانية بحق المولد، وقد تلقى تعليمه بالمنزل قبل أن يسافر إلى أورشليم ليجلس بين يدي الحاخام غمالائيل Gamaliel [9]، ومعنى ذلك أنه كان يحمل معه التراث اليهودي واليوناني معًا عندما ذهب إلى أورشليم.(10) مما جعل الخلفية الفكرية لبولس تنتمي إلى كلٍّ من التراث اليهودي واليوناني معًا.

---

(1) يُونَّا: وهي الصيغة اليونانية للاسم (يوحانان) في العبرية، ومعناه (الرب حنان،) وهو اسم امرأة خوزي وكيل هيرودس أغريبال، كما كانت إحدى النساء اللواتي تبعن المسيح من الجليل، وكن يخدمنه من أموالهن. دائرة المعارف الكتابية، (مج 361/8).

(2) هيرودسيين: وهو اسم عائلي أطلق على أفراد عديدين من أجيال نفس العائلة، ذكروا في الكتاب المقدس، أما في النص المذكور فهو يشير إلى هيرودس الكبير، وهو أشهر أفراد العائلة الهيرودية. دائرة المعارف الكتابية، (مج136/8).

(3) سوسنة: أي زنبقة بيضاء، وهي كانت من تلك النساء اللاتي عالجهن المسيح جسميًّا وروحيًّا، واللاتي أظهرن امتنانهن باتباعه وخدمته وتلاميذه من مالهن الخاص. لوكير، هربرت، كل نساء الكتاب المقدس، (ص137).

(4) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا [8:1–3].

(5) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا [10:39].

(6) مرثا: كلمة آرامية بمعنى "سيّدة" فهي مؤنث "مار" بمعنى سيد أو رب، وكانت مرثا من بيت عنيا، وأخت لعازر ومريم، كانت مرثا ممن يخدمون المسيح. دائرة المعارف الكتابية، (ص115–116).

(7) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا [11:21].

(8) انظر الكتاب المقدس، أعمال الرسل [21:39].

(9) غمالائيل: اسم عبري معناه مكافأة الله، وهو حاخام يهودي، عضو في السنهدريم، ورئيسه حسب ما ورد عنه في التلمود، وهو فريسي، أحد اللاهوتيين اليهود المعروفين جدًّا في القرن الميلادي الأول، وكان أحد معلمي بولس في الشريعة، وقد مات في منتصف ذلك القرن. (قاموس الكتاب المقدس، مجموعة مؤلفين، (ص662)، وقد ورد في الكتاب المقدس في أعمال الرسل[3:22] : "أنا رجل يهودي ولدت في طرطوس كيليكية، ولكن ربيتُ في هذه المدينة مؤدبا عندَ رِجلَي غَمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي".

(10) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص49).

لذا فقد تميَّز موقف بولس من المرأة بالثنائية في الآراء، فهو تارةً يُعْلِي من شأنها، وتارة أخرى يحطُّ من قيمتها، فإذا ما امتدح المرأة أو أعلى من قيمتها فيُلاحَظ بأنه يفعل ذلك في نطاقات محدَّدة كأن يرسم دورًا فعَّالاً للمرأة في التبليغ والدعوة للمسيحية، ويظهر ذلك في رسالته إلى أهل روما والتي ذكر فيها أسماء الكثير من النساء اللواتي تميزن بدور إيجابي في النهضة المسيحية (أُوصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيبِي(1)، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْخَرِيَا (2)) (3) (سَلِّمُوا عَلَى مَرْيَمَ الَّتِي تَعِبَتْ لأَجْلِنَا كَثِيرًا) (4) (تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ كَنَائِسُ أَسِيَّا. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ كَثِيرًا أَكِيلاَ وَبِرِيسْكِلاَّ (5) مَعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا) (6) (وَإِلَى أَبْفِيَّةَ (7) الْمَحْبُوبَةِ، وَأَرْخِبُسَ الْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا، وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ) (8) (ثُمَّ جَاءَ وَهُوَ مُنْتَبِهٌ إِلَى بَيْتِ مَرْيَمَ أُمِّ يُوحَنَّا الْمُلَقَّبِ مَرْقُسَ، حَيْثُ كَانَ كَثِيرُونَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ) **(9)** ؛ فهؤلاء النسوة إما كن صاحبات بيوت كان يلتقي فيها المسيحيون الأوائل، أو كن صاحبات أموال وثروة فقمن بدعم الرسل والمبلِّغين ماليًّا، فهو يميل إلى حَصْر دور المرأة ضمن إطار الضيافة والمعونة المالية والمعنوية.(10)

أما موقفه الأساسي فقد كان كموقف التراث اليهودي واليوناني من المرأة، فهو وإن تناول جوانب إيجابية قدّرت المرأة إلا أنه يعود إلى فكره المستمَد من التراث اليهودي واليوناني للمرأة، فتأخذ خطاباته بالرجوع إلى توجيه المرأة في قالب الأسرة والمنزل؛ وذلك بالاحتفاظ بدورها التقليدي كزوجة وأم. (11)

(لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ).(12)

وهذا ما كانت تنادي به اليهودية في مراحلها المبكرة؛ لذا اتجه بولس إلى أفكاره الموروثة القديمة المتعلقة بالمرأة، والتي تظهر بوضوح من خلال إرجاع الصورة المتدنية للمرأة، والتي تختلف تمامًا عن الصورة التي كانت في عهد المسيح، لذا يمكن القول بأن أهم المعتقدات التي رسَّخها بولس من خلال خطاباته حول المرأة:

---

(1) فيبي: اسم يوناني معناه "بهية" أو "نقية" أو "لامعة"، وهي كانت خادمة في الكنيسة التي كانت في كنخريا، الميناء الشرقي لكورنثوس، وقد أوصى بها بولس في رسالته إلى الكنيسة في رومية إلى المؤمنين أن يقبلوها ويقوموا لها في أي شيء احتاجته منهم. دائرة المعارف الكتابية، (مج6/121).

(2) كنخريا: الميناء الشرقي لكورنثوس، وكانت تقع على بعد نحو سبعة أميال إلى الشرق منها في طرف البرزخ، على الخليج الساروني، وكانت البضائع تنقل من كورنثوس عبر البرزخ تجنبًا لمخاطر الإبحار بها حول رأس ماليا إلى الجنوب من كورنثوس، وقد سميت كنخزيا على اسم ابن "بوسيدون وبيرين" إذ كانت المنطقة مقدسة "لبوسيدون" إله البحر عند الإغريق. دائرة المعارف الكتابية، (مج6/ 384-385).

(3) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية [1:16].

(4) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية [6:16] .

(5) بريسكلا: تصغير بريسكا، ومؤنث بريسكا بمعنى أصيلة، زوجة أكيلا ولدا في بونتس، وكلاهما كانا يهوديين من آسيا الصغرى، وقد استبعدا من زوما على يد كلوديوس، وفي كورنثوس أصبح أكيلا وبريسكلا الصديقين المكرمين والمحبوبين من بولس، وأشهر معاونيه. لوكير، هربرت، كل نساء الكتاب المقدس، (ص52).

(6) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس [19:16].

(7) أبفية: اسم افرنجي يحمل معنى الإعزاز، وهي امرأة مسيحية في كولوسي، ويحتمل أنها كانت زوجة فليمون، وتذكر بعض التواريخ أنها استشهدت رجمًا مع فليمون في عهد نيرون. دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، (مج1/30).

(8) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى فيلمون، 1.

(9) الكتاب المقدس، أعمال الرسل [12:12] .

(10) انظر: الراسخي، فروزان، المرأة في العُرفان الإسلامي والمسيحي حتى القرن الثامن الهجري، (ص111).

(11) انظر: الراسخي، فروزان، المرأة في العُرفان الإسلامي والمسيحي حتى القرن الثامن الهجري، (ص111).

(12) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس[11:2-14] .

أ) **المرأة أصل الخطيئة:** اعتنق بولس فكرة مسؤولية المرأة عن الخطيئة البشرية الأولى[1](1)؛ فهو يقول: (وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ؛ لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ، وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي).[2](2) وهو يقول: (مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ).[3](3)

فهو يعود بشكل واضح إلى المعتقد اليهودي؛ وذلك من خلال ذكره أن المرأة أساس الخطيئة، وبها اجتاز الموت إلى العالم.

ب) **المرأة موجود ثانٍ خُلِقَ من أجل الرجل:** يذهب بولس إلى أن الوضع الثانوي للمرأة ينسجم تمامًا مع النظام العام للكون، وهو في ذلك يشبه أرسطو فيما ذكره عن الهيراركية[4](4) Hierarchy القائمة بين الأشياء التي يزخر بها الكون، ومن ثَمَّ فقد أقام المعلم الأول دونية المرأة على أساس ميتافيزيقي(5)، وهكذا يفعل بولس فهو يقول: (وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ؛ لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ). [6](6)

ج) **الخضوع للرجل:** ويتَّضح ذلك في رسالته إلى أهل أفسُس[7](7): (أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ؛ لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ، وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ). [8](8)

د) **الرهبانية:** فقد دعا الرجال والنساء إلى عدم الزواج، ولا يلجأ إليه إلا عند الخوف من الزنا.(9)

هـ) **الرجل هو الوسيط بين الله والمرأة:**(10) فهو في رسالته إلى أهل كورنثوس(11) يَحُثّ النساء على تغطية رؤوسهن في التجمعات المسيحية؛ لأن هذا الغطاء بمثابة الرمز لخضوعهن للرجل (فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ...). [12](12)

أما ما يتعلق خطاباته الأخرى التي كان في ظاهرها إعطاء للمرأة مكانة، أو كانت تحمل شيئًا من الامتداح، فكانت منحصرة وفق نطاقات معينة، إما أن تكون إطراءً للأرامل وحقهن بالاشتراك في الأعمال الخيرية التي تقوم بها الكنيسة، إلا أنهن لا حقَّ لهن في بلوغ رتبة رجل الدين المسيحي.(13) (لتَتَعَلَّم المرأة بسُكوت في كل خضوع، ولكن لستُ آذن للمَرأة أن تُعلّمَ ولا تَتَسلَّطَ على الرَّجُلِ، بل تكونُ في سكوت). [14](14)

---

(1) الخطية، أي الخطيئة، وهي عمل إرادي أخلاقي، ولا ينطوي المفهوم الأخلاقي المجرد على التعدي الإرادي على الشريعة –في الكتاب المقدس– تحت مفهوم ديني أشمل عن السلوك الخاطئ تجاه أوامر الله ووصاياه المحددة وناموسه فحسب، لكنه ينطبق أيضًا على رفض الإنسان الانقياد لتأثير معرفة الله الموجهة المرشدة، فالتعدّي على ناموس معروف هو خطيئة، بل ويعتبر الموقف الخاطئ والرغبات الخاطئة والاتجاه الخاطئ للإرادة خطيئة أيضًا، فهي: أي موقف من مواقف عدم اللامبالاة أو عدم الإيمان، أو العصيان لإرادة الله المعلنة في الضمير أو في الناموس أو في الإنجيل، سواء ظهر هذا الموقف في الفكر أو في القول أو في الفعل أو في الاتجاه أو السلوك. والمقصود من الخطيئة في النص، هي الخطيئة المتوارثة التي تنقل النزعة الشريرة والإثم إلى نسل الخاطئ، لذلك في المعتقد المسيحي أن الخطيئة الأولى شملت كل الجنس البشري. دائرة المعارف الكتابية، (مج272/3).

(2) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح[2:11-14].

(3) الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح [5:12].

(4) الهيراركية: الترتيب التصاعدي أو تسلسل هرمي.
See: Cook, Roy, a dictionary of philosophical logic,(p 137).

(5) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص52).

(6) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس [11:7-10].

(7) أفسس: وتعني في اليونانية "المرغوبة"، وهي مدينة في إقليم آسيا الرومانية، وتقع قرب مصب نهر كايستر على بعد ثلاثة أميال من الساحل الغربي لآسيا الصغرى، في مقابل جزيرة ساموس. دائرة المعارف الكتابية، (مج247/1).

(8) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس [5:22-24] .

(9) عبدالوهاب، أحمد، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص215).

(10) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص50).

(11) كورنثوس: كانت من أعظم مدن العالم القديم، إذ كانت تشغل موقعًا استراتيجيًّا على هضبة تطل على برزخ كورنثوس، وكانت ترتفع عموديًّا إلى 1.886 قدمًا، فكان من السهل الدفاع عنها في العصور القديمة، حتى إنها كانت تسمى مقبرة اليونان، إذ كان من العسير اختراق هذا الحصن الطبيعي. دائرة المعارف الكتابية، (مج515/6-416)

(12) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس [11:7].

(13) انظر: الراسخي، فروزان، المرأة في العُرفان الإسلامي والمسيحي حتى القرن الثامن الهجري، (ص110).

(14) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس [2:11-12].

أو كالتي في رسائله الأخرى الموجهة إلى الأرامل كانت تستحق الإطراء لأجل عبادتها وأعمالها الدينية، والكنيسة هي التي تُدبر شؤون حياتها، غير أن بولس يضع لهن شروطًا، معتبرًا أن الأرامل الحقيقيات هنَّ الوحيدات الجديرات بحماية الكنيسة ودعمها.(1) لكن على الرغم من السماح للمرأة الأرملة بالمشاركة في الخدمات الدينية في الكنيسة؛ إلا أنَّ الدور الذي أُعطي لها كان في مجال الخدمة فقط، فلا يُسْمَح لها بممارسة ما يُمارسه الرجال في الكنسية.

يُلاحَظ من خلال بعض خطابات بولس التي جاءت في سياق مدح المرأة، والثناء عليها، والإشادة بها مثل: (أيُّها الرجال، أحبُّوا نساءكم كما أحبَّ المسيح أيضًا الكنيسة..).(2)

وغيرها من بعض الخطابات التي كانت في مجملها إما تنصبُّ في دور المرأة كأم وزوجة، كلها تثير في النفس التناقض والغموض، فكيف للمرأة أن تكون مصدر للخطيئة والشرّ، وبها دخل الموت إلى العالم، وهي في الوقت ذاته، تندرج في إحدى خطابات بولس ويدعو إلى حبّها، ويبدو أن هذه الازدواجية في الصورة ترتبط مباشرة بازدواجية الصورة المنطبعة في أذهان رجال الدين بخصوص حواء ومريم العذراء؛ النموذجين النقيضين تمامًا، حواء نموذج الشر والعصيان، ومريم نموذج الطاعة والخلاص من الخطيئة.

وبناءً على ما سبق يتضح من آراء بولس تأثره بشكل مباشر بالأفكار اليهودية، والفلسفات اليونانية، وأن الازدواجية في تلك الآراء تدل على ذلك؛ حيث إنه حاول بشتَّى الطرق إرجاع الصورة الأولية للمرأة.

ثالثًا: المرأة في خطابات آباء الكنيسة

إن أنسب تعبير لوصف موقف آباء الكنيسة هو تضارب الأقوال وتناقضها، وذلك يتشابه مع موقف بولس؛ فالنساء هن خليقة الله وعطيته، وهنَّ أيضًا لعنة العالم، وضعاف العقل والشخصية.(3) ويتَّضح من خلال خطاباتهم أن الصفة الغالبة على خطاباتهم هي التقليل من شأن المرأة، والتوسع في شرح كل ما يتعلق بالمرأة؛ إما وَفْق ميولهم الشخصية، أو تأثرًا بشكل مباشر بخطابات بولس وبعض التأثيرات التي ساهمت في ترسيخ دونية المرأة.(4)

وإن أهم ما تطرَّق إليه آباء الكنيسة في موضوع المرأة هو التركيز على النصوص التي كانت تقدِّم الأساس المنطقي لتقييد حرية النساء، وجعلهن في مستوى أقل من الرجل، وأدَّى ذلك إلى نشوء فَهْم آخر وهو أن النساء تنقصهن بعض الصفات الجوهرية التي يشترك فيها الرجال مع الله، فراحوا يقتبسون كلّ ما يؤكد هذا المفهوم ليبرِّروا موقفهم ويدعموه بالأدلة.(5)

والجدير بالذكر أن عصر الآباء هو العصر الذي امتد من القرن الأول حتى وصل إلى قمته في القرن الرابع عند القديس أوغسطين (354–430) St. Augustineالذي يختم عصر الآباء؛ حيث تبدأ أوروبا في الدخول إلى العصور الوسطى، من القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر.(6)

وقد ظهرت في هذه الفترة الآراء الفلسفية المسيحية التي كانت ترجع في بدايتها إلى عناصر خارج المسيحية هي على وجه التحديد الهجمات المعادية، إلى جانب ذلك هناك عنصر مسيحي مستقل عن الهجمات الخارجة، وهو شعور المفكرين المسيحيين برغبة قوية في النفاذ إلى معطيات الوحي، وتشكيل وجهة نظر شاملة عن العالم والحياة البشرية، وسلوك الإنسان في حياته اليومية، وعلاقته بالآخرين، ثم علاقة الرجل بالمرأة، على ضوء الإيمان الجديد، من هنا بدأت تتشكل النظرة المسيحية للمرأة في عصر الآباء، إلى أن أصبحت جزءًا من التراث المسيحي في تلك الفترة، وامتد أثرها لقرون عديدة. (7)

ومن أهم هؤلاء:

(1) انظر الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس [5:1-8, 14-16]

(2) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس [5:25].

(3) انظر: كلارك، إليزابيث، الآباء والمرأة، (ص15).

(4) انظر: كلارك، إليزابيث، الآباء والمرأة، (ص15).

(5) انظر: كلارك، إليزابيث، الآباء والمرأة، (ص16).

(6) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص64).

(7) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص64).

أولاً: كلمنت السكندري(1) (150-233م) Clement of Alexandria

يفرّق كلمنت بين الرجل والمرأة على أساس العقل الذي مُنِحَ للرجل، وهو سببُ مجده، ويقول صراحة: إن المرأة موجود أدنى من الرجل بسبب العقل الذي هو تاج الرجل، وهو يحافظ عليه نقيًّا دون أن تشوبه شائبة؛ فالعقل أمانة عند الرجال لا يلحقه خطأ، ولا يعتريه عَيْب أو قصور، أما المرأة بطبيعتها فتُعتبر شيئًا مخزيًا. والسبيل لمعاملة الرجل للمرأة هو إسكاتها وإغلاق الدار عليها، وإبقاؤها في المنزل، وألا يجب أن تذهب إلى الموائد؛ ذلك لأن نظراتها سوف تخلق في أذهان الرجال أفكارًا شريرة، لذا فهو يرجّح للمرأة عدة أعمال كممارسة الغزل والنسج، والإشراف على شؤون المطبخ، أما إذا اضطرت للخروج في المناسبات كعيادة مريض أو الذهاب إلى الكنيسة؛ فيجب أن تضع الخمار على وجهها.(2)

ثانيًا: القديس جيروم (3)(345-420م) St. Jerome

وقد ظهرت ظاهرة النساء المثقفات في تلك الحِقْبَة، وكان لجيروم الأثر في قبول النساء وتدريسهن، وشرح الكتاب المقدس لهن، وقابل بابا روما الجديد هذا التصرُّف بالكره وعدم القبول.(4)

(1) كلمنت السكندري: وُلِدَ تيتوس فلافيوس كلمنت حوالي عام 150 ميلادية، وكان ابنًا لأبوين وثنيين، ويبدو أن أثينا هي موطنه الأصلي، وأنه تلقى تعليمه هناك، ويبدو أن تاريخ أو دوافع اهتدائه للمسيحية تبدو غير واضحة، لكنه بعد أن صار مسيحيًّا قام برحلات واسعة إلى جنوب إيطاليا، وسوريا وفلسطين، بغرض طلب العلم، وتكمن الأهمية العظمى بالنسبة لتعليمه الأكاديمي هو رحلته التي أتت به في النهاية إلى الإسكندرية، وقد كانت لمحاضرات بنتينوس تلك الجاذبية التي جعلته يستقر هناك، ويعتبر تلك المدينة وطنه الثاني، إلى أن صار هو التلميذ والشريك والمساعد لبنتينوس وخلفه في النهاية كرئيس لمدرسة الموعوظين. كواستن، جوهانسن، علم الآبائيات باترولوجي، (ص7,6).

(2) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص69).

(3) القديس جيروم: وهو صفرونيوس يوسابيوس هيرونيموس، وُلِدَ في 337م ولد في أسرة مسيحية غنية من الإقطاعيين في بلدة ستريدون بالقرب من إيمونا، وهو أحد أهم المترجمين في الكنيسة اللاتينية، وفي عام 360م ذهب إلى روما لدراسة البلاغة والخطابة، كان معلمه الخطيب الفصيح إيليوس دوناتوس، وخلال فترة دراسته اقتنى مجموعة معتبرة من كتب الكلاسيكيات اللاتينية، وتمكن من ناصية اللغة والأدب اللاتيني، من أهم أعماله ترجمات للكتاب المقدس، من العبرية الفولجاتا للعهد القديم، ومن السبعينية: المزامير المستعملة بكنيسة روما، وتفاسير للأسفار، بالإضافة إلى دراسات كتابية تتمثل في: كتاب عن الأسماء العبرية في العهد القديم، وكتاب الأسئلة في سفر التكوين، والعديد من المؤلفات الشخصية، والتاريخية، وتوفي جيروم في عام 420م. انظر: خطابات القديس جيروم مع دراسة عن حياته وأعماله، (ج1/23-105)

(4) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص93).

ولكن على الرغم من بادرة جيروم في تعليم النساء، إلا أنه ظل يهاجِم الزواج وينصحهن بالعزوف عنه، وكان شأنه شأن بقية الآباء يركز على أمرين أساسيين؛ الجنس، والخطيئة الأولى.(1)

فكان ينصح النساء أن يَعشن عذارى، ويكاد يَعُدُّ الزواج من الخطايا.(2)

ثالثًا: القديس يوحنا فم الذهب (3) (337-420م) St. John Chrysostom

شارك في الجو الثقافي العام الذي كان يؤمن بأن المرأة موجود أدنى من الرجل، وعلى الرغم من أن النساء في عصر القديس يوحنا كانت قد اعتادت ألا تسير في الشارع دون أن تُغطِّي جسدها كله؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يرى أيّ جزءٍ منه، بل إنهن لا يستطعن رؤية شيء من الطريق سوى موضع القدم، رغم ذلك كله فقد نظر إليها على أنها بقايا عِفَّة قديمة لم يَعُدْ لها وجود الآن؛ لأن الفساد يُسرع إلى النساء من خلال الآذان، ومن خلال العيون على حدٍّ سواء، حتى قد فسَد معظمهن فسادًا تامًّا.(4)

واعتقد أيضًا أنَّ المرأة ليس لها "صورة الله" كما كان للرجل، وربط بين مركزها كمُعِينة للرجل بهذا النقص، أي: أن مركزها لا يتحدَّد بهذه الطريقة نتيجة للسقوط بل كان أدنى حتى عندما خُلِقَتْ.(5)

وهناك عبارة جامعة تلخِّص رأيه: "من بين وحوش البرية المفترسة يستحيل عليك أن تجد حيوانًا أشد أذًى من المرأة".(6)

رابعًا: القديس أوغسطين (7) (354-430م) St. Augustine

اشتهر القديس أوغسطين بكثيرٍ من مغامراته النسائية، واقترافه للآثام والخطايا، مما رواه عن نفسه في كتاب الاعترافات(8)، وبعد فترة طالت في الانغماس في المغامرات النسائية اتخذ له عشيقة غير شرعية وأنجب منها طفلاً أسماه ديو دانوس؛ أي: عطية الله، وكون أمه مسيحية شديدة الإيمان حاولت جاهدة أن تُغيِّر مسار حياته، وبالفعل في عام 386م ترك أوغسطين المرأة التي كان يسميها معشوقته لفترة طالت لأكثر من عشر سنوات، وأنجب منها طفلاً، وتحول بعد ذلك إلى المسيحية.(9)

---

(1) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص100).

(2) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج1/110).

(3) يوحنا فم الذهب: ولد في أنطاكية وتلقى فيها تنشئته اللاهوتية، رُسم كاهنا في 386م، فانصرف إلى الوعظ في أنطاكية، قبل أن يصبح أسقف القسطنطينية في 398م، عُزل في 403م على أثر الدسائس التي دسها ثيوفيلس الإسكندري، أولته أعماله الأدبية مكانة طليعية في آباء الكنيسة، ومن أبرز أعماله: "رسائل إلى أولمبياس"، ومقالات روحانية وأخلاقية في "الكهنوت"، لقب بفم الذهب، وذلك لبراعته الخارقة في الكلام، توفي في المنفى في 407م. اليسوعي، الأب صبحي، معجم الايمان المسيحي، (ص555).

(4) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص107).

(5) انظر: كلارك، إليزابيث، المرأة والآباء، (ص31).

(6) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص107).

(7) أوغسطين: (354-430) وهو أشهر آباء الكنيسة اللاتينية، وُلِدَ في تاغاستا في إفريقيا، اعتنق المذهب المانوي مبتعدًا عن الإيمان المسيحي رغم سهر والدته مونيكا، ولكنه عاد إلى المسيحية بتأثير من القديس أمبروسيوس في أثناء إقامته في ميلانو، عمّده أسقف ميلانو في 387م، ورُسم كاهنا في هيبون في 391م، وأصبح أسقف هذه المدينة في 392م، أبرز مؤلفاته: مناجيات النفس، مدينة الله، الاعترافات، في الثالوث، والطبيعة والنعمة، توفي في 430م في مدينة هيبون. (اليسوعي، الأب صبحي، معجم الإيمان المسيحي، (ص81,80).

(8) الخوري يوسف العلم، اعترافات القديس أغسطينيوس، (ص29).

(9) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص117).

وبذلك تغير مسار حياته من الانغماس في الشهوات الحسية والإشباع الجنسي إلى الأنشطة الروحية، وتحقيق المُثُل العليا الدينية؛ كالزهد، واحتقار الجانب المادي، ويظهر من خلال ذلك تأثره بالأفكار الأفلاطونية الخالصة.(1)

إنَّ نظرة أوغسطين للمرأة كانت تتلخَّص في أن الخَلْق على صورة الله ذكرًا وأنثى؛ إذًا فهناك مساواة، لكن في الوقت ذاته، هي التي أغوت الرجل، وجعلته يسقط؛ إذن فهي أدنى مرتبة، وبالتالي فلا بدَّ أن تكون خاضعة وتابعة له، ويتضح من خلال ذلك أن فلسفة القديس أوغسطين المزدوجة، جاءت نتيجة لتركيبة مجموعة من التصورات استمدَّ بعضها من الكتاب المقدَّس، وبعضها من الفلسفة اليونانية، فالمُثُل العليا اليونانية عن العقل تقنعه بضرورة المساواة التي وجدَها بالمسيحية، لكنَّ فكرة الخطيئة والسقوط كانت تُقنعه من ناحية أخرى بالأصول الدنيوية للمرأة.(2)

ويمكن تعليل وجهة نظر أوغسطين من خلال تجربته الشخصية التي كانت نابعة أساسًا من حياته؛ حيث كانت تتلخص في نوعين متناقضين؛ الغانية العشيقة، وأمه القديسة، فقد تلخَّصت نظرته للمرأة وفق هذه الثنائية في التجربة، لذا فالمرأة عند أوغسطين مخلوق مركَّب من شطرين واضحين؛ الجسد، وفيه يكمن كلّ رمز السقوط والخسة والدناءة، والروح ذلك الجانب النقي الذي صوَّره الله.(3)

أما فيما يتعلق في الخطيئة الأولى فلم يكن بمقدوره أن يفسِّر نزعة الإرادة البشرية إلى الشر بأكثر من أنها نتيجة لخطيئة حواء، وحبّ آدم لها.(4)

وتشكل آراء أوغسطين عن الخطيئة الأصلية أهمية قصوى لتطوُّر اللاهوت الغربي، فهو يتفق مع آباء الكنيسة في أنَّ خضوع المرأة كان نتيجة لتلك الخطيئة، ولكنه قام بتحليل نتيجتين أخريين لتلك الخطيئة؛ وهي دخول الموت وشهوة العالم، فهو اعتقد أن الشهوة وهي غير منطقية في مضمونها ما كانت لتوجد في الجنة لو لم تُرتكب الخطيئة، ولكنه مع ذلك يؤكد أن الاتصال الجنسي والإنجاب كان سيحدث حتى لو لم تحدث خطيئة، وبالرغم من يأس أوغسطين إزاء قوة الشهوة فافتراضه بأن الاتصال الجنسي كان جزءًا من خطة الله للعالم حتى لو ظل البشر بلا خطيئة، فإن فتح الباب للإعلاء من شأن الزواج له أكثر من رأي لدى بعض الآباء.(5)

خامسًا: القديس توما الأكويني(6) St. Thomas Aquinas

إنَّ أبرز ما تميز به خطاب القديس توماس للمرأة، أنه تناول قضية خلق المرأة في الخلاصة اللاهوتية في أربع تساؤلات جوهرية؛ يتساءل فيها: هل كان واجبًا أن تصدر المرأة مع الأشياء في البدء؟ هل كان واجبًا أن تُصنع من الرجل؟ هل كان واجبًا أن تُصنع من ضلع الرجل؟ هل صُنعت من الله ابتداءً؟ ثم يجيب عن هذه التساؤلات التي تلخص وجهة نظره تجاه خلق المرأة:(7)

(1) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص117).

(2) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص126).

(3) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص 127).

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج140/1).

(5) انظر: كلارك، إليزابيث، المرأة والآباء، (ص38).

(6) توما الأكويني: ولد في عام 1225م بقصر روكاسكا Roccasecca بالقرب من أكوين، ومن هنا جاءت نسبته الأكويني. أبوه من أسرة نبيلة تنحدر من أصلاب لنبردية، بدأ دراسته في دير مونتي كاسيني الشهير، وتابعها في جامعة نابلي، درس الفنون الحرة السبعة (النحو، المنطق، الخطابة، الهندسة، الحساب، الفلك، الموسيقى)، كما درس العلم الطبيعي على بطرس الأيرلندي استنادًا إلى كتب أرسطو، ألَّف عدة مؤلفات مهمة مثل: الشروح على أرسطو وكتاب الخير المحض، والكتب التنظيمية كخلاصة اللاهوت، بالإضافة إلى رسائل ومواعظ عديدة، وكانت فلسفته مستمدة كلها من فلسفة أرسطو. انظر: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، (ج426/1 – ص428).

(7) انظر: الأكويني، توما، كتاب الخلاصة اللاهوتية، (مج494/2-501).

1- لم يكن واجبًا أن تصدر المرأة مع الأشياء التي صدرت في البدء؛ فالأنثى "ذكر مسيخ"، ولم يكن واجبًا أن يصدر شيء مسيخ وناقص مع الأشياء التي صدرت في البدء.

2- إن الخضوع والانحطاط تابعٌ للخطيئة؛ لأنه بعد الخطيئة قيل للمرأة ستكونين خاضعة للرجل.

3- إن أسباب الخطايا يجب قطعها، والله قد سبق فعلم أن المرأة ستكون سببًا لخطيئة الرجل فإذًا لم يكن واجبًا أن يُصدرها، وإن كان ذلك يعارض النص الوارد في سفر التكوين الإصحاح ١٨:٢ "لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فصنع له عونًا نظيره"، ويُجاب عن ذلك أن يقال: كان من الضرورة أن تُصنع المرأة لإعانة الرجل لكن ليس لإعانته في عمل غير التوليد.

٤-إن سبب خلق المرأة من الضلع لكي لا تتسلط المرأة على الرجل، ولذلك لم تتكون من الرأس، وليس يجب أن تحتقر من الرجل كأنها خاضعة له خضوعًا عبوديًّا.

٥- أما في مسألة أن المرأة هل تكونت من الرجل فهو يجيب على أن المرأة لم تتكون من الله ابتداءً؛ إذ ليس شخص يصدر عن مثله بالنوع ويُصنع من الله ابتداءً، والمرأة مصنوعة من الرجل وهما متحدان في النوع، فإذًا لم تُصنع من الله ابتداء.

يُلاحَظ من خلال مواقف الآباء أنهم يقيمون فكرهم حول المرأة بناء على: (1)

- التراث اليهودي والروماني.
- الأُسُس التي وضعها بولس في نظريته عن المرأة.

والجدير بالذكر أن هذه المؤثرات ساهمت بشكل كبير في إخفاء مواقف السيد المسيح؛ بحيث طغت على كل ما جاء به من تعاليم سمحة، حاولت أن ترفع من مكانة المرأة.(2) وأن آباء الكنيسة تعاملوا مع المرأة كلٌّ بحسب نظرته، مع الحفاظ على الطابع الدوني العام المأخوذ من تعاليم بولس. ويبدو واضحًا مدى قوة تأثير بولس في تشكيل المعتقدات المسيحية بشكل عام، وبالتالي تأثيره على ترسيخ الصورة الدونية للمرأة، مما أدَّى ذلك إلى تكوين صورة متناقضة لمكانة المرأة.

المطلب الثاني: صورة المرأة في الخطابات الناتجة عن المصادر المقدسة

أولاً: المرأة في العهد الجديد

نشأ العهد الجديد في إطار معقَّد أثَّر على هويته، وعلى المواضيع التي عالجها، ومنها موضوع المرأة، فهُوِيَّة المرأة في العهد الجديد يجب أن تُفْهَم في ضوء الخلفية الهيلينية(3)، واليهودية.[4] فالنصوص المتعلقة بالمرأة الواردة في العهد الجديد تأثرت وفق هاتين الخلفيتين.

فالخلفية الهيلينية أو اليونانية، تتلخص في أن أفلاطون يَعتقد بأنَّ الروح سجينة الجسد، وأنها تتحرر لكي تتقمص جسدًا آخر، وأن مصير الرجل التعيس هو أن يتقمص جسد امرأة، أما أرسطو فقد اعتبر الأنثى رجلاً مبتورًا من نوع ما، فيقول: "إن النساء ذكور ناقصون يُولَدن بسبب عدم كفاءة الأب أو بسبب تأثير خبيث لريح جنوبية رطبة".(5) أما الخلفية اليهودية فهي التي تتلخص في أن المرأة سبب الخطيئة، وبالتالي فهي مخلوق أدنى من الرجل.

(1) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص79).

(2) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص38).

(3) الهيلينية: أو هِلينستية Hellenism أي: الحضارة اليونانية في أوج انتشارها. قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مجموعة مؤلفين، (ص528).

(4) كتشانو، اطلقوني: حنا، دور ومكانة المرأة في المسيحية، (ص28).

(5) انظر: حنا، كتناشو، اطلقوني: دور ومكانة المرأة في المسيحية، (ص28).

لذا جاءت النصوص متضاربة تحمل خطابات متناقضة؛ فالتي تحاكي فترة المسيح –عليه السلام–، أتت متحدية التعاليم اليهودية مبينة قيمة المرأة، ومكانتها بحسب التعاليم الإلهية، لها كرامتها كإنسان، ودفعها إلى الحياة، والمشاركة في المجتمع، السماح لها بالخدمة والاعتماد عليها في مهام عديدة[1]، وفي المقابل جاءت النصوص التي تحاكي عهد بولس تتصبُّ في ترسيخ دونية المرأة متأثرة بعدة عوامل ساهمت في تشكيل هذه الصورة.

ثانيًا: الأفكار التي استند عليها الخطاب المسيحي القديم للمرأة

بما أن المسيحية تضيف التوراة وما يلحق بها –وهو ما أطلق عليه بالعهد القديم– إلى المصادر الدينية لديها، فالكتاب المقدس بقسميه العهد القديم والعهد الجديد معتبر وذو مكانة لديهم.

(1) انظر: حنا، كتتاشو، اطلقوني: دور ومكانة المرأة في المسيحية، (ص28).

وبالتالي يتبين مدى تشابه أفكار المسيحية واليهودية في عقيدة الخطيئة الأولى، وقصة الخلق، بحيث أصبحتا منطلقًا أساسيًّا لفهم مكانة المرأة.

1- عقيدة الخطيئة الأولى(1)

وهي العقيدة المبنية على أساس أن حواء هي المسبّب الأول لغواية آدم وطرده من الجنة، فهي مصدر البلاء والشر والغواية. إن فكرة إلصاق الشر بحواء وجعل خطيئتها متوارثة هي فكرةٌ الغرض الأساسي منها جعل للمرأة دليلاً مستوحى من نصّ مقدس(2) على عدم أهليتها وجعلها بمنزلة أدنى من الرجل، وأن عقاب المرأة أمر دائم لا ينفك عنها، لذا ورد في السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: أن عقاب المرأة على هذا الفعل كان يتلخص أولاً في إكثار أتعاب الحبل ووجع الولادة؛ فإن من عقابها إحزانها واضطرابها بأمور كثيرة في هذا العالم، وأنه يعسر على علماء الطبيعيات التعليل عن سبب أمراض حبل النساء وأوجاع الولادة بخلاف البهائم؛ لأن البهائم تحبل وتلد في صحة أحسن فلا يمكن تفسير هذا الفرق إلا بالعقاب الإلهي المذكور في هذا النص.(3) أما العقاب الآخر فهو اشتياقها إلى رَجُلها وسيادته عليها.

إن هذه التفسيرات مبنية على منطلقات مشوشة وتبدو غير منطقية أو مفهومة تدلّ على محاولة المفسرين لإيجاد هالة دينية لجعل المرأة أساس الشرّ والغواية، وهي مستمَدة من نصوص مُعتبرة لدى المسيحيين من العهد القديم. لكن تجدر الإشارة إلى أنه قد جاءت نصوص في العهد الجديد تؤكد هذه الفكرة؛ فقد ورد في العهد الجديد وفي رسالة بولس تحديدًا: (وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي)(4).

ويقول في موضع آخر: (فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللهِ، لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُل وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ. وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ)(5)، لذلك تنتقل قصة حواء وتقصيرها في

(1) يرجع ول ديورانت عقيدة الخطيئة الأولى في اللاهوت المسيحي المتمثلة بالنظرية القائلة: إن الغرائز البدائية تجعل الإنسان غير صالح للحضارة بفكرة الكارما في الديانة الهندية؛ في محاولة لتفسير ما يحل بالناس من آلام هم في الظاهر غير خليقين بها، وهذا التفسير هو أن الصالحين يقاسون الآلام في هذه الحياة؛ لأن أسلافهم ارتكبوا الإثم، وتقول النظرية المسيحية: إن الجنس البشري قد لوثته خطيئة آدم وحواء التي هي في الأساس تسببت بها حواء، ومن ثم أغوت آدم. انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج4/ 175).

(2) النص المذكور في التوراة: "وكانت الحيّة أحيَلَ جميعِ حَيَواناتِ البرّيةِ التي عَمِلها الربُّ الإلهُ، فقالَ للمرأةِ: أحقاً قالَ اللهُ لا تأكلا من كلِّ شجرِ الجنة، فقالت المرأة للحيّة: من ثمَر شجرِ الجنة نأكلُ، وأما ثمر الشجرة التي في وسطِ الجنَّة فقالَ الله: لا تأكُلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقال الحية للمرأة: لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر، فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت، فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها وهو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه، وقال للمرأة: تكثيرًا أُكثّر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك) الكتاب المقدس، سفر التكوين[3:1-18] .

(3) مارش، وليم، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم شرح سفر التكوين، (ص 41).

(4) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس[14:2] .

(5) الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس [11:2].

هبوط آدم إلى الكنيسة المسيحية كميراث لا يقبل الغلط، وأخذت هذه الفكرة تترعرع في الفكر المسيحي من بعد عيسى –عليه السلام– رغم تعاليمه وسلوكه الواضح في هذ المضمار.(1)

2- قصة الخلق

أما فيما يتعلق بقصة الخلق؛ فقد ورد في الكتاب المقدس (وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ)(2) أما التفسيرات المسيحية لهذا النص، فتوضِّح مسألة بداية خلق المرأة؛ فحواء خُلِقَتْ من ضلع آدم كما أراد الله، ولو أنه كان من الممكن أن يخلقها من تراب الأرض كما خلق الرجل، لكنه اختار خلقها من عظام الرجل ولحمه.(3) وإن المرأة لم تؤخذ من رأس الإنسان لتفوقه شرفًا، ولا من رجليه ليدوسها، بل من جنبه وقوامه لتكون معادلة له.(4) فتفسيرات قصة الخلق لدى الفكر المسيحي تؤكد فكرة خضوع المرأة للرجل، وأن هذا الخضوع قد جاء منذ أن خُلِقَتْ حواء من ضلع آدم لتكون قصة خلقها دليلاً واضحًا لديهم بأن المرأة دومًا بحاجة لخضوعها للرجل بناء على طبيعة كونية.

ثالثًا: الأفكار التي انفردت بها المسيحية

كانت النظرة إلى المرأة تتطور وتتغير في المسيحية، فلم تكن ثابتة على موقف واحد، وكون ذلك أمرًا ميَّز خطابات المسيحية المتعلقة بالمرأة؛ لذا فمن الطبيعي أن تأتي بأفكار جديدة نتيجة لهذا التطور والتغير. لذا يمكن القول بأن للمرأة علاقة بالمعتقدات المسيحية، فمنها تشكلت صورة المرأة، وهي:

1. ازدواجية صورة المرأة المستمدة من عقيدة التثليث (5) والخلاص(6) والفداء(7):

وتظهر تلك الازدواجية المتأرجحة بين حواء مرتكبة الخطيئة، ومريم العذراء والدة الإله، فالتثليث كعقيدة تُصوّر الله في أقانيم ثلاثة؛ أحدهما عيسى المسيح ابن الله، وأمه مريم العذراء، وبالتالي هي والدة الإله. (فقالت مريم للمَلاكِ: "كيفَ يَكُونُ هذا وأنا لَستُ أعرفُ رجلاً؟" فأجاب المَلاكُ وقالَ لها: " الرّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَليكِ، وقوَّةُ العليّ تُظَلِّلُكِ، فلذلكَ أيضاً القُدّوس المَولودُ منكِ يُدعى ابنُ اللهِ". (8) (وصَرَخَتْ بصوتٍ عظيمٍ وقالت: "مُباركةٌ أنتِ في النساءِ ومُبارَكَةٌ هي ثَمَرَةُ بَطنِكِ! فمِن أين لي هذا أنْ تأتيَ أمُّ رَبّي إليَّ؟) (9)

فمريم العذراء بقبولها أن تصبح أُمًّا للمسيح، على الرغم من الآلام والمصاعب التي واجهتها، إلا أنه من خلال ابنها كان الرجاء الوحيد للعالم، وبخضوعها صار خلاص البشرية.(10) والخلاص له ارتباط وثيق بالخطيئة؛ إذ إن البشر من أصل واحد،

(1) انظر: الراسخي، فروزان، المرأة في العرفان الإسلامي والمسيحي حتى القرن الثامن الهجري، (ص19).

(2) الكتاب المقدس، سفر التكوين[22:2] .

(3) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (ص11).

(4) مارش، وليم، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم شرح سفر التكوين، (ص35).

(5) التثليث أو الثالوث كما تُقال في العقيدة المسيحية: لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس؛ حيث لا يذكر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات تعبيرًا عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أقانيم هم واحد في الجوهر ومتساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية. دائرة المعارف الكتابية، (مج2/428).

(6) الخلاص في العهد الجديد هو إنقاذ الخطائين بالإيمان بيسوع المسيح، أو غفران الخطيئة والخلاص من ربقتها وتطهير النفس. انظر: قاموس الكتاب المقدس، (ص345).

(7) الفداء: وهي تعني الإنقاذ بثمن، وهذا الثمن هو موت المسيح. دائرة المعارف الكتابية، (مج6/23).

(8) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا[35,34:1]

(9) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا[43,42:1]

(10) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (ص2060).

وهذا الأصل هو "آدم وحواء"، وهما قد أخطآ نتيجة أكلهم من الشجرة المحرمة، والبشر مخطئون؛ لأنهم متوالدون منهما، فالمخلص المنقذ للبشرية هو ابن الرب، الذي جاد بنفسه على الصليب لينتزع العالم من الشرور التي أوقعته فيها خطيئة البشر الأزلية، بعد أن عصت المرأة (حواء) أوامر الرب، وأغوت الرجل (آدم) على التمرُّد؛ مستجيبة للشيطان (الحية)، ومن الطبيعي أن تكون النتيجة المباشرة لتلك العقيدة هي إعلاء مكانة الرجل الذي أضلته المرأة.(1)

أما الاعتقاد بأن مريم العذراء ارتبطت بالخلاص، وأن لها دورًا في فداء البشرية؛ وذلك بقبولها وموافقتها كما يعتقدون لتصبح أم لابن الإله الذي جاء لإنقاذ البشرية من الخطيئة.(2) فمثلما كانت حواء جزءًا أساسيًّا في الخطيئة ودخول الموت للبشرية، فمريم العذراء كانت الوسيط في الخطة الإلهية بحيث لعبت دورها في خلاص البشرية من الخطيئة.(3) فذلك أدى إلى خلق ازدواجية متناقضة في صورة المرأة في المسيحية.

2. **التعميد أو المعمودية**(4): تقديم تعميد الذكر على تعميد الأنثى، ويعود ذلك إلى عقيدة الخطيئة الأزلية.(5)؛ حيث ترجع الأسباب إلى ما ورد في العهد القديم من التمييز بين مدة نفاس المرأة إن كان مولودها ذكراً فتكون أربعين يوماً، وإذا كانت أنثى ثمانين يوماً، إذ تعود الأسباب في التفريق بين الذكر والأنثى نتيجة خطيئة حواء، وبالتالي لا تدخل المرأة الأماكن المقدسة.(6) وبالتالي يكون تعميد الذكر قبل الأنثى كون مدته أقصر من مدة الأنثى.

3. **الرهبانية:** يقول ديورانت: "إن بعض رجال الكنيسة والقساوسة، استنتجوا من إحدى رسائل القديس بولس أن كل اتصال بين الجنسين خطيئة، ولذلك كانوا يعارضون الزواج بوجه عام، وقد أعلن مجلس جنجرا الديني حوالي ٣٦٢م أن هذه الآراء لا تتفق مع الدين، ولكنَّ الكنيسة مع ذلك ظلت تطالب قساوستها وتلح عليهم أن يظلوا بلا زواج".(7) وكان عدم زواج رجال الدين يؤدي في بعض الأحيان إلى الزنى أو غيره من الفضائح، وإلى انحطاط مكانة القسّ في أعين الشعب، ولهذا فإن مجمعًا مقدسًا عُقِدَ في عام 386م أشار على رجال الدين بالعفة المطلقة، وبعد عام من ذلك الوقت أمر البابا سيريسيوس Siricius بتجريد كل قسّ يتزوج أو يبقى مع زوجته التي تزوجها من قبل، ولاقى ذلك تأييد كل من جيروم وأمبروز وأوغسطين.(8)

ثالثًا: المرأة في المجامع الكنسية

(1) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص16). وانظر: خوري، ايما، المرأة في الكتاب المقدس من حواء إلى مريم، (ص201-202).

(2) See: B.O'Donnell, Father Gabriel, Mary The Mother Of God, Director of the Catholic Information Service, Knights of Columus, 1971, United State of America, P 28).

(3) See: B.O'Donnell, Father Gabriel, Mary The Mother Of God, Director of the Catholic Information Service, Knights of Columus, 1971, United State of America, P 28).
وانظر: يعقوب، سعيد، مكانة المرأة في الخدمة الكنسية والحياة الكنسية، (ص18-19).

(4) المعمودية في الفكر المسيحي: هي تطهير من الخطايا وإزالة للمعاصي وأصل للتجديد وللميلاد الجديد. القديس غرريغوريوس، سر المعمودية ومياه التجديد، (ص15).

(5) أبو رزيزة، سعدية، مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام، (ص76).

(6) انظر: المقاري، يوئيل، المرأة والتناول، (ص39). انظر النص في سفر اللاويين [12:1-6].

(7) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج1/ 93).

(8) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج1/ 94).

إنَّ المرأة في تشريع وقرارات المجامع الكنسية لم تخرج عن الإطار العام لنظرة الفكر المسيحي للمرأة، بل ساهمت القرارات التي خرجت من تلك المجامع في تأكيد صورة المرأة السلبية. (1)

إنَّ من أهم القرارات التي جاءت في المجامع، قرار مجمع ماكون، ففي القرن الخامس اجتمع أساقفة مجمع المجمع للبحث في مسألة المرأة؛ وهل هي مجرد جسم لا روح فيه أم لها روح، إلى أن أقرُّوا أنها خِلْو من الروح الناجية من عذاب جهنم، ما عدا أم المسيح.(2)

وتوالت الخطابات على هذا المنوال، واستمرَّ تدارس رجال الكهنوت لأطروحات أهدرت من شأن المرأة: هل لها أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟ هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟ وهل يسري عليها الخلود أم تفنى فناء الحيوان؟(3)

وكلها قرارات تتصوّر إلى أيّ مدى كان ينظر للمرأة باحتقار، وعلى أنها كائن يختلف عن الرجل.

لذا يمكن القول بأن الخطاب الديني المسيحي القديم للمرأة تمثل في أنه:

أولاً: خطاب يتميز بالازدواجية والاضطراب والتناقض، وذلك بسبب تذبذبه بين خطاب المسيح –عليه السلام–، وخطاب بولس، بالإضافة إلى تأثر الخطابات المتعلقة بالمرأة بعوامل ساهمت في خلق هذا التذبذب كالتأثر بالديانة اليهودية، والفلسفات اليونانية.

ثانيًا: خطاب متغيِّر غير ثابت، ويتبين ذلك في تبنّي أفكار جديدة تتعلق بالمرأة، مع وجود عوامل كثيرة مُحفِّزة لتبنّي آراء جديدة، كوجود المجامع الكنسية أدَّى إلى خَلْق أفكار مستمرة في كلِّ عقائد وقضايا المسيحية، ومن ضمنها قضايا المرأة.

(1) لقراءة أمثلة من هذه القرارات يمكن الاطلاع على: كساب، حنانيا، مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، 1998م، منشورات النور، لبنان. ويصعب حصر جميع القرارات في هذا البحث، لذا تم ذكر مثال حيوي ومهم من قرارات المجامع السابقة وهو مجمع ماكون.

(2) انظر: السباعي، مصطفى، المرأة بين الفقه والقانون، (ص18).

(3) انظر: اليافي، نعيم، وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور، (ص67).

المبحث الثاني

المرأة في الخطاب المسيحي المعاصر

إنَّ بدء تغيير الأفكار المطروحة والخطابات المتعلقة بالمرأة تَزَامَن مع ظهور تطوُّرات وحركات تدعو إلى التغيير، وتنادي بتبنِّي الأفكار الجديدة؛ سواء كانت دينية، أو سياسية أو اجتماعية. لذا ترتبط دراسة الخطاب المسيحي المعاصر للمرأة مع أحداث متصلة اتصالاً مباشرًا مع الأحداث التاريخية المهمة في التاريخ المسيحي، مما كان لهذه الأحداث الدور الكبير في إحداث التغيير.

المطلب الأول: المراحل التي مر بها الخطاب المسيحي المعاصر للمرأة

أولا: فترة ما قبل القرن العشرين: (1)

فترة ما قبل العشرين مُمَهَّدَة بِعِدَّة أحداث مُهِمَّة مَرَّ بها التاريخ الغربي؛ منها العصور الوسطى، وعصر النهضة الذي احتوى في أواخره عصر الإصلاح الديني. والتطرق إلى تسلسل الأحداث، وما مرت به من خطابات متعلقة بالمرأة يعطي تصورًا واضحًا للخطابات الحديثة المعاصرة.

1. **فترة العصور الوسطى:** إنَّ مصطلح العصور الوسطى يُطلَق على وجه التقريب على الفترة الممتدة من تاريخ أوروبا الممتدة من سقوط الإمبراطورية الرومانية حتى عصر النهضة، أي: حوالي ألف سنة (من القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر).(2) وفترة آباء الكنيسة –التي تم الإشارة إليها في المبحث السابق– كانت من ضمن هذه الفترة، فكما تبيَّن أن قوانين ونظريات رجال الكنيسة في هذه الفترة معادية للمرأة، بل غالت بعض القوانين في إخضاعها، وظلت المرأة في نظر القساوسة ورجال الدين كما كانت عند القديس يوحنا فم الذهب "شرًّا لا بدَّ منه، وإغواء طبيعيًّا، وكارثة مرغوبًا فيها، وخطرًا منزليًّا، وفتنة مهلكة، وشرًّا عليه طلاء".(3)

وكانت لا تزال حواء مجسَّدة في كل مكان؛ حواء التي خسر بسببها الجنس البشري جنات عدن، وأداة الشيطان المحببة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم.(4)

وفي هذه الفترة كان القانون المدني أشد عداء للمرأة من القانون الكنسي، فقد كان كلا القانونين يجيز ضرب الزوجة، ولما أمرت القوانين وعاداتها في القرن الثالث عشر الرجل ألا يضرب زوجته إلا لسبب، كان ذلك يُعَدُّ خطوة كبرى إلى الأمام.(5)

وينص قانون آخر على ألا تُسْمَع للنساء كلمة في المحكمة لضعفهن، وغيرها من التشريعات التي تَحُطُّ من قيمتهن.(6) لذلك كانت الخطابات الدينية المتعلقة بالمرأة في ذلك الوقت متطرفة؛ تقف بجانب الرجل ضد المرأة، مما جعل القوانين المدنية تتأثر بشكل مباشر بالخطابات الدينية، وبالتالي نتجت قوانين مدنية تعادي المرأة. وعلى الرغم من أن السمة الغالبة في تلك الفترة كانت تهميش المرأة؛ إلا أن المرأة حصلت على حقوق طفيفة لا يكاد يُطلَق عليها حقوق، لكنها تمثلت بالآتي:

- النساء من الطبقات العليا أصبح لديهن الفرصة لتعلُّم القراءة والكتابة.(7)

---

(1) وذلك لإعطاء صورة تمهيدية مبسطة تهدف إلى تكوين فكر متسلسل يرصد التدرج الحاصل في مراحل التغيير في الخطابات المسيحية المعاصرة المتعلقة بالمرأة.

(2) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص142).

(3) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص144)، وانظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج3 /187).

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج3/187).

(5) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج4/ج3/188).

(6) انظر: إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص 145).

(7) انظر: بيشوب، موريس، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (ص49). وانظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج/4ج4/189).

- شاركت المرأة في بعض الأعمال العسكرية؛ كجندية في الحروب الصلبية.(1)

ويلاحظ بأن المرأة المسيحية في تلك الفترة لم تتمتع بمميزات، بل حظيت فقط المرأة المنتمية إلى أُسَر الأشراف بالقليل من التقدير؛ بحيث سُمِحَ لها بتعلم شيءٍ من الأدب والفن، والمشاركة بالكتابة، وإن حصل ذلك فهو بدافع المكانة الاجتماعيَّة التي تتمتع بها المرأة المنتمية إلى هذه الطبقة الاجتماعية.

أما السماح بمشاركة المرأة في الحروب؛ فذلك إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدل على أن الحالات الطارئة جعلت المجتمع يتقبل فكرة خوض المرأة في الحروب، من باب الحاجة وليس المساواة وتقبل وجود المرأة بجانب الرجل.

يتميز موقف الكنيسة من المرأة في تلك الفترة بازدواجيته وتأرجحه بين التعظيم والتحقير، بين الطهارة والنجاسة، بين مريم العذراء وحواء الخاطئة (2)، أما الصفة الغالبة على الخطابات المتعلقة بالمرأة في هذه الفترة فكانت تتسم بالسلبية، والعنصرية.

2. **فترة عصر النهضة**(3): فيه أحدث المفكرون ميلادًا جديدًا للفكر والفن والتراث اليوناني–الروماني.(4) وأوجد عصر النهضة المعطيات الأولى لتحرُّر المرأة، ثم أوصد عليها بإحكام أبواب دارها، ومهَّدت القرون الثلاثة التالية أمامها الدروب عريضةً للثقافة والعمل، وأوجدت في الوقت ذاته عالمًا عقليًّا من العلم والتقنية يتميز بطابعه الذكوري الجافّ. وأجَّل حكم عصر النهضة على عداء الكنيسة للمرأة بالتقهقر حين علمن الفكر، بَيْدَ أنَّه حثَّ المشرِّع على التصلُّب في إصلاحاته للقانون الروماني خلال عدة عصور.(5)

لم يكن هذا التطور السريع تطوُّرًا في كلِّ جوانب الحياة الغربية؛ فقد كانت المرأة لا تزال تعاني من تهميش؛ إذ إن التطور كان مقتصرًا على النساء المتمتعات بمكانة اجتماعية مرموقة، أما الفئة الغالبة منهن فلم يخرجن عن إطار عملهن في حدود الأسرة والمنزل.(6)

وقد توسَّعت نطاقات المرأة ذات المكانة العليا، وأصبحت تمارس عدة أمور، منها: (7)

أ) المشاركة العلمية: بلوغ بعض النساء منهن منزلة العلماء، وإتاحة الفرص لهن بمناقشة بعض المسائل الفلسفية.

ب) المشاركة السياسية: إعطاء الفرص لهن في المشاركة السياسية؛ بحيث شاركن في حكم بعض الدول بدلاً من أزواجهن الغائبين.

ت) المشاركة الأدبية والثقافية: فتحت أمامهن أبواب الشعر والأدب، فأصبحت الفرصة في المشاركة الثقافية والأدبية متاحة لهن.

وبناء على ما سبق يمكن القول: إن المرأة المسيحية في فترة العصور الوسطى وعصر النهضة، لم تتمكن من تغيير الخطابات الدينية التي كانت تتناول قضاياها وأمورها، بل كانت في نطاق محدود ويقتصر على صاحبات الطبقات العليا، فيُسْمَح لهن بمناقشة بعض المسائل، بالإضافة إلى التغيير الطفيف الحاصل في بعض القضايا الاجتماعية والدينية المتعلقة بالمرأة.

أما ما حصل في أواخر عصر النهضة، وهو ما يسمى بالإصلاح الديني(8)، وهو الذي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمُصْلِح مارتن لوثر(1)، وكون حركة الإصلاح الديني حركة تهدف إلى الإصلاح وتغيير الفساد القائم حينها في الكنيسة، وما كان يمارسه رجال الدين، إلا أنها لم تناقش قضية المرأة كقضية أولى من ضمن اهتماماتها.

---

(1) انظر: ديورانت، قصة الحضارة، (مج4/ج4/190).

(2) اليافي، وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور، (ص97).

(3) عصر النهضة: والمقصود به عصر النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر، والذي تتجلى به مظاهر التجديد في أوروبا وذلك بحوادث كبرى وتطورات عظيمة أشبه ما تكون بثورات، الثورة الفكرية والدينية والأخلاقية، والسياسة الجديدة والاقتصاد الجديد. حاطوم، نورالدين، تاريخ النهضة الأوروبية، (ص6,5).

(4) إمام، عبدالفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، (ص142).

(5) اليافي، نعيم، وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور، (ص103).

(6) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج5/ج4/ص101).

(7) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج5/ج4/ 102–108).

(8) الإصلاح الديني الذي ارتبط بالثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر، وإن لم تكن هي الثورة الأولى فقد سبقتها ثورات كان المنطلق الأساسي منها الشذوذ عن أوامر الكنيسة، لكن سرعان ما كانت الكنيسة تتعامل مع تلك الثورات بمحاكم تفتيشها وسجونها المظلمة والقتل والإحراق بإطفاء هذه الثورات التي سبقت الثورة البروتستانتية، لكن على الرغم من هذه القسوة التي تتمتع بها الكنيسة تبين للناس أنه لم يعد بالإمكان إخضاع جميع سكان أوروبا لسيطرة البابا، فقام مارتن لوثر في عام 1520م بجمع طلاب جامعة وتنبرج، وسار بهم إلى خارج المدينة، وهناك أحرق دستور الكنيسة، وأعلن العصيان عليها. انظر: برون، جفري، تاريخ أوروبا الحديث، (ص176).

وإذا ما نظرنا إلى فكر مارتن لوثر المؤسِّس الرئيسي لهذه الحركة، فأفكاره حول المرأة، كانت تتلخص في أنه يميل إلى قبول اللوم على حواء كونها أساس الخطيئة، لكنه في الوقت ذاته لا يتجاهل آدم الذي كان من المفترض بوجهة نظره أكثر عقلانية، وأنه قد فهم أوامر الله شخصيًّا؛ لذا فهو يرى أن آدم كان عليه رفض الوقوع في الخطيئة.(2)

وآمن بأن الجنس خطيئة في أصله، إلا أن الزواج يغلِّفه بقشرة من الاحترام بحيث يتغاضى الربّ عنه، وعلى الرغم من زواجه، لم يكن لدى لوثر الكثير من الوقت ليقضيه مع المرأة التي كان من المقرر أن تعاقب على خطيئة حواء بالإقصاء عن الحياة العامة، وأن على المرأة البقاء داخل المنزل مثل مسمار مثبّت في الجدار.(3)

ويبدو أن أهم ما ناقشه لوثر وميَّز فكره هو إبطال الرهبانية، وتقبُّل فكرة زواج الرهبان؛ فقد صرَّح لوثر بأن الجنس أمر فطري، وضروري كالطعام.(4) لكنه على الرغم من ذلك إلا أنه كان يحمل الفكر المسيحي المتعارف عليه بشأن المرأة، فقد كان مفهومه عن المرأة تقليديًّا؛ كالنظرة القائلة بأن المرأة خلقها الله للحمل والطهي والصلاة، لا لشيء آخر، وهو القائل: "انتزع النساء من تدبير شؤون المنزل تجدهن لا يصلحن لشيء"، و"إذا أنهك الحمل النساء، ولقين حتفهن، فليس في هذا ضرر، دعهن يلاقين حتفهن ما دمن يحملن، فقد خُلِقْنَ لهذا".(5)

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن فترة الإصلاح التي قادها لوثر، كانت إصلاحًا لأوضاع الكنيسة وتخبُّط قراراتها وقرارات القساوسة، فلم يكن إصلاحًا شاملاً لكل القضايا، بل إن الإصلاح ينصبُّ حول قضايا الفساد الكنسي، وفساد رجال الكنيسة، أما المرأة فلم تُنَاقَش قضاياها على محمل الجدّ، ولم تكن من ضمن قائمة أولويات الحركة الإصلاحية.

لذا كان التغيير الحاصل بسيطًا، لكنَّ الثورة ضد رجال الدين وتقوية صوت كلِّ مَن لا يقبل بظلم الكنيسة خَلقَ أرضية لقبول الرفض القائم على الفساد في كافَّة النطاقات الدينية والاجتماعية، وشكَّلَ نوعًا من أنواع الوعي لدى المسيحيين، وبلا شك أثَّر ذلك الوعي على مجموعة كبيرة من النساء المثقفات اللاتي رفضن كلّ أشكال الظلم الحاصل في العقود السابقة.

ث) **الفترة الانتقالية التحولية لمسار الخطاب المسيحي المتعلق بالمرأة:** وإذا ما أردنا التحدُّث عن نقطة التحول والتغيير؛ فهي تكمن في الأحداث التي حصلت في القرن الثامن عشر(6) والتاسع عشر، فهنا تكمن النقلة النوعية في المفاهيم والخطابات المتعلقة بالمرأة؛ حيث ظهرت الحركات الأولى التي تهدف إلى حصول المرأة على حق المساواة بالرجل في الحقوق.

والجدير بالذكر هنا أن هذا التغيير كان على شكل ممارسات وضغوط مِن قِبَل المرأة لحصولها على حقوقها بعد اضطهاد دام لقرون عديدة.

لذا فقد شهدت الخمسينيات من القرن التاسع عشر صحوة كبيرة تمثَّلت بشأن وضع النساء، وظهور أعداد متزايدة من نساء الطبقة الوسطى يسعين لتحقيق مطالبهن المتمثلة في عدة أمور؛ كالاستقلال الاقتصادي، وإثارة الاهتمام بقلة فرص العمل المتاحة أمامهن، مما أدَّى إلى إحداث سلسلة من التغييرات التشريعية والاجتماعية، ومن العوامل التي ساهمت في إحداث تغيير في هذه الفترة: ظهور مجموعة من نصيرات حقوق المرأة من الطبقة الوسطى، كن يناقشن وينشرن آراءهن بشأن المرأة.(7)

---

(1) يُعَدُّ مارتن لوثر (1483–1566م) مؤسس الحركة الإصلاحية، وقد أثارت أطروحاته البحثية الخمسة والتسعين ضد صكوك الغفران تمردًا عامًّا على البابوية، وكانت عقائده الرئيسية هي أن التبرير يكون عن طريق النعمة من خلال الإيمان وحده وليس الأعمال، وأن سلطان الكتاب المقدس هو الأعلى في تقليد الكنيسة. (انظر: هينليس، جون، معجم الأديان، (ص400).

(2) See: Karant-Nunn, Susan, Wisner-Hanks, Merry, Luther on Women, P 8).

(3) حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم في الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص55).

(4) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج6/ج131/3).

(5) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، (مج6/ج131/3).

(6) حركة التنوير: وهي حركة فلسفية ظهرت في القرن الثامن عشر، حركة التنوير، تستخدم لوصف فترة من العنفوان في الحركة الفلسفية والفكرية، وكان مفكرو هذه الفترة يعتقدون بأنهم خرجوا من عصر مظلم تسوده الخرافة والجهل إلى حقبة جديدة من العقلانية والعلمية والتعقل والعدالة الاجتماعية، ومن الجدير بالذكر أن النسوية لم تكن جزءًا من مشروع التنوير؛ إذ كانت آراؤها المتعلقة بالحقوق الفردية موجَّهة إلى الرجال إلى حد كبير، وإن كانت الثورة الفرنسية قد أفرزت بعض الداعيات النسويات الراديكاليات؛ مثل ماري أوليمبي دي جورج التي استعانت بصراحة بخطاب التنوير في إحدى مقالتها، إلا أن النسوية تدين بالفضل للأفكار التي ولدت في عصر التنوير؛ لأنه خلق نموذجًا للإصلاح الإنساني ألهم الموجة النسوية الأولى، وأثَّر تأثيرًا مباشرًا على بعض الرُّوَّاد في الحركة. انظر: وهبه، مراد، المعجم الفلسفي، (ص219) وانظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص326).

(7) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص48).

والجدير بالذكر أنَّ هذه المرحلة يُطْلَق عليها الموجة النسوية الأولى First wave Feminism وهو مصطلح يشير إلى ظهور أول حركة منظمة تعمل من أجل معالجة صور عدم المساواة الاجتماعية والقانونية التي كانت المرأة تعاني منها في القرن التاسع عشر، مقر الحركة يقع في لانجهام بليس في لندن، وأهم القضايا التي ناقشتها الحركة هي قضايا التعليم والتوظيف وقوانين الزواج، وقد كان للحركة إنجازات عديدة، من أهمها: (1)

ج) فتح مجال التعليم العالي أمام المرأة.

ح) إصلاح نظام مدارس البنات الثانوية، بما في ذلك السماح بدخول البنات الامتحانات الرسمية على المستوى الوطني.

خ) زيادة فُرَص الالتحاق بالوظائف، وخصوصًا مهنة الطب.

د) المطالبة بحق المرأة المتزوجة في الملكية.

ذ) محاولة إجراء التعديلات على حقوق حضانة الأطفال الممنوحة للمطلقات أو المنفصلات عن أزواجهن.

وبناءً على ما سبق يُلاحَظ بأنَّ المرأة حصلت على بعض المكاسب من وراء هذه المحاولات الجادَّة التي كانت تسعى من خلالها في هذه الفترة للحصول على حقوقها. وأنَّ من أهم الملاحظات على هذه الفترة أن المحاولات كانت تأتي مِن قِبَل النساء ضدَّ كل ما يُمارَس عليهن من ضغوطات باسم الدين؛ فلم تكن هناك تشريعات واضحة أو فتاوى دينية جادَّة تقف بجانب المرأة، بل كانت المرأة هي التي تُمثِّل دور المطالبة بحقوقها بشكل جدّي عن طريق كل ما أُتيح أمامها من فُرَص في ظل عنصرية الخطابات الدينية التي كانت تتعلق بالمرأة.

بالإضافة إلى أن الحركة النسائية في هذه الفترة كانت بسيطة، تدعو إلى تحرير المرأة من العبودية التي دامت قرونًا، وسلبت منها أبسط حقوقها، محاولة جاهدة أن تجعل نطاق تحركاتها الحصول على حق التعليم والعمل في ظل كونها امرأة. أما الكنيسة فقد قابلت هذا التقدم الذي شهدته المرأة المسيحية باللامبالاة والرفض والتشدد؛ فقد كان رجال الدين من خلال خطاباتهم يحاولون إعادة ما كانت عليه الخطابات الدينية القديمة، إلى أن اضطرت الكنائس لاحقًا إلى قبول واقع التغيير الاجتماعي الحاصل بشكل جزئي. (2) لكن بشكل عام يمكن القول بأن:

1. غياب دعم الكنائس بكافَّة أشكاله للحركات النسائية التي انتشرت في بلدان مختلفة.(3)
2. البيانات الصادرة عن الحركات النسائية لم يكن لها أيّ تأثير على الكنائس في البداية.(4)
3. لم تتغير خطابات الكنيسة بشأن قضايا المرأة، بل ظلت تحافظ على الجانب التقليدي الموروث.

فالصورة التقليدية كانت لا تزال منتشرة وثابتة لدى الكنيسة ورجال الدين.

ثانيا: فترة القرن العشرين

في أوائل القرن العشرين، حققت النساء المساواة القانونية والمدنية نظريًّا وليس تطبيقيًّا، لكن فيما بعد حصلت بعض النساء اللواتي تجاوزن الثلاثين من العمر على حق التصويت منذ عام 1918م، وأثير جدل بخصوص إعطائهن الفرصة للتصويت على قدم المساواة مع الرجال، أم التركيز فقط على احتياجات المرأة ومشاكلها، وفي وقت مبكر من عام 1918م، وافق النواب على مشاركة النساء في مقاعد البرلمان، وازدادت أعداد النساء المتعلمات في كافة المستويات التعليمية كالمدارس والتعليم العالي.(5)

---

(1) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص 342).

(2) See: Kung, Hans, Women in Christianity, (p 87).

(3) See: Kung, Hans, Women in Christianity, (p 87).

(4) See: Kung, Hans, Women in Christianity, (p87).

(5) See: Walters, Margret, Feminism A very Short Introduction, (p86).

والجدير بالذكر أن من أهم ما حدَث في القرن العشرين هو ظهور النسوية المسيحية بشكل رسمي، وتُعَدُّ ماري ديلي(1) من منظور المدخل النسوي الحديث أهم ناقدة نسوية ثورية مسيحية في السبعينيات من القرن العشرين.(2)

فبدأت الحركات النسائية تتنوع، ما بين حركات تدعو إلى تحرير المرأة من التهميش والظلم الواقع عليها في إطار قراءة التقاليد من منظور متميز خاص بهن؛ وذلك باعتبار التقاليد المسيحية سبيلاً لتحقيق التحرُّر واحترام الحياة (3)؛ فهن ينظرن إلى التقاليد كأساس ومنطلق رئيسي لقراءة جديدة يطمحن من خلالها إلى تحقيق التحرُّر والمساواة، وبين حركات التمركز حول المرأة التي تدعو إلى أن إعادة قراءة النصوص المقدسة واللاهوت والنظر إلى المؤسَّسات المسيحية التي تشكَّلت من منظور الرجل، والدعوة إلى طرح رؤى جديدة تتعلق بالرب والرموز واللغة والنصوص.

ومن الأحداث المهمة في هذه الفترة: ما حصل بعد الحرب العالمية الثانية؛ ففي عام 1947م قامت الأمم المتحدة بتأسيس لجنة متخصِّصة بأوضاع المرأة، وبعد عدة سنوات أصدرت إعلان حقوق الإنسان الذي أقر بأن الرجال والنساء لديهم حقوق متساوية في الزواج، وخلال الزواج، وعند فسخه، بالإضافة إلى استحقاق النساء للرعاية الخاصة والمساعدة لهن كأمهات، وبين عامي 1975 و1985م أطلقت الأمم المتحدة ثلاث مؤتمرات دولية حول قضايا المرأة.(4)

لذا فقد بدأت تظهر قضايا المرأة على الساحة بوضوح، وبدأ التعامل معها جديًّا من خلال مؤسسات عديدة، مما جعل للحركة النسوية صوتًا مُعتبرًا ومؤثرًا.

حتى ظهرت الموجة النسوية الثانية Second Feminism Wave كما يسمونها في هذا القرن للإشارة إلى تزايد نشاط النسوية في أمريكا وبريطانيا وأوروبا.**(5)** واستمرت محاولات المرأة المسيحية في أن تلعب دورًا رياديًّا في النضال من أجل تحرير النساء من رواسب التبعية الطويلة المستحكمة التي أخضعهن لها مجتمع الرجال حتى سخَّروا كل شيء فيه من أجل مصلحة جنسهم وتفوقه؛ فالمرأة أصبحت تناضل من أجل تأكيد ذاتها كشخص إنساني بكل ما للكلمة من معنى، كذات حرة ومسؤولة، لها حق التصرف بنفسها وفق خياراتها وقناعاتها، وحق مشاركة الرجل في كافة المهمات الإنسانية على قدم المساواة.(6)

لذا أكملت المرأة المسيحية مسيرة رفضها للظلم الواقع عليها، والاضطهاد الذي واجهته والتعسف في بعض حقوقها، وظهرت حركات الإصلاح الاجتماعي والسياسي التي كانت تهدف إلى المطالبة بالحقوق المدنية، والثورات النسائية والحركات التحررية، ثم تمَّ التركيز بصفة خاصة على تعاليم الكنيسة التي رأين أنها تدعم الاتجاهات المناوئة لحقوق المرأة، وقد نتج ذلك في رأيهن عن احتكار الرجال منذ ظهور الكنيسة لوضع القوانين والنظم الكهنوتية التي أعلت من مكانة الرجل على حساب المرأة دون سند من عقل أو منطق أو وحي إلهي.(7)

---

(1) نشأت ديلي الأمريكية في محيط التقاليد الكاثوليكية، ونشرت كتابها "ما وراء الأب الرب: نحو فلسفة لتحرير المرأة" في عام 1973م الذي تستنكر فيه مفهوم الكون في المسيحية الذي يقوم على افتراضات منحازة لجنس الرجال؛ إذ ترى ديلي أن عبادة الرب الأب تبدو وكأنها إسقاط للأيديولوجية البشرية المتمركزة حول الرجل على عالم الأبدية، وكانت ديلي في ذلك الوقت تأمل في إحداث نوع من التحول أو التغيير، ولكنها ما لبثت أن نفضت يدها من مسألة الدين باعتباره معاديًا للمرأة بشكل لا رجوع عنه، إذ تعتقد ديلي أن المسيحية والنسوية لا يتفقان. جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص294).

(2) جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص294).

(3) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص294).

(4) See: Walters, Margret, Feminism A very Short Introduction, p97).

(5) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص471).

(6) بندلى، كوستى، المرأة في موقعها ومرتجاها، (ص129).

(7) انظر: طه، عزية، تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص11).

ولقد اتهمت هؤلاء النسوة باباوات الكنائس بتحريف الكتاب المقدس، والدسّ عليه، والتدليس على عيسى المسيح –عليه السلام– وحوارييه؛ وذلك من أجل إحكام سيطرة الرجل على شؤون الديانة المسيحية، واستمرت الثورة النسائية تتصاعد وتتشعب ويزداد زخمها وعنفوانها من أجل التركيز على ضرورة إعطاء المرأة مكانة مساوية للرجل، وكي تشارك في وضع وصناعة القوانين والتشريعات الدينية، ولتقود المؤسسات الكنيسية.[1]

لذا فقد كان للثورة النسائية صدًى ونتائج فعلية تمثلت في هزّ أركان المجتمع، وتعديل بعض معتقداته وممارساته التقليدية ضد المرأة، مما أتاح لها أن تتولى بعض المناصب القيادية في المؤسسات؛ فالثورات النسائية ساعدت على إزالة الشوائب التي علقت بالمسيحية عبر القرون.[2]

ومن ثم فقد أصبح ترسيم النساء مقبولاً على نطاق واسع في الطوائف المسيحية، وذلك في النصف الثاني من القرن العشرين، وانتشر اللاهوت النسوي المسيحي، ولم يكن الأمر مقتصرًا على ذلك فقط، بل حصلت على حق الرسامة، وأنتجت حزمة من المواد اللاهوتية حول موضوعات تمتد من رسامة النساء إلى الهرمنوطيقا [3] النسوية.(4)

وفي أواخر القرن العشرين اعترض علماء اللاهوت النسوي بمرارة كلّ ما تناولته الخطابات المسيحية من اضطهاد للمرأة، وتهميشها، وعرضوا المسيحية على أنها التبشير بالله المسيطر الذي يكبت المجموعات المهمَّشة مثل النساء، وانتقدوا فكرة كثير من المفكرين المسيحيين، وخاصة التقليد البروتستانتي، وهاجموا أيضًا فكرة أن النساء يجب أن يتبعن مَثل العذراء مريم المتواضعة والمطيعة.(5)

لذلك كان التغيير مستمرًا، وقد أعتقت النساء من معظم القيود التي كانت مفروضة عليهن في السابق، فحصلن على حقّ التصويت، والفضل في ذلك للنضال الشجاع الذي خاضته النساء المناديات بحق المرأة في الاقتراع في عدة بلدان تنال النساء مقابل أيّ عمل يقمن به أجرًا مساويًا للأجر الذي يتقاضاه الرجال عن العمل نفسه.(6)

وشهدت الحركة الإصلاحية البروتستانتية إعادة تعريف شامل لمكانة المرأة في هذا القرن؛ وذلك بإتاحة الفرص للنساء بإنشاء أماكن خاصَّة بهن، والسماح بظهور المرأة سياسيًّا.(7)

وفي عام 1919م صدر في بريطانيا على سبيل المثال قانون فتح الباب بصورة فعلية أمام النساء للدخول إلى كل وظيفة عامة وحرفة ووظيفة مدنية، وبحسب قانون 1960م ظلت هناك وظيفتان مغلقتان في وجه النساء، وهما العمل في سوق لندن المالية، والرسامة للخدمة في الكنائس التاريخية، وفي عام ١٩٧٣م، على أي حال أذعنت سوق لندن المالية ولم يبق محظورًا عليهن سوى خدمة الكهنوت في معظم الكنائس.(8)

---

(1) انظر: طه، عزية، تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص12).

(2) انظر: طه، عزية، تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص17).

(3) هرمنيوطيقا Hermeneutics: وهو لفظ إفرنجي له علاقة بهرمس Hermes الذي هو رسول الله لدى اليونانيين، ولهذا كان عليه أن يفهم ويؤول أولا ما يريد الآلهة توصيله إلى البشر قبل أن يترجمه ويشرح مقاصد الآلهة نحو البشر، ومن هنا فإن التأويل مرادف للهرمنيوطيقا؛ إذ أصبحت الهرمنيوطيقا علمًا في عصري النهضة والإصلاح الديني لمواجهة السلطة الدينية التي تزعم أن لها وحدها الحق في فهم النصوص المقدسة. وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، (ص664-665).

(4) انظر: حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم، الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص126).

(5) انظر: هيل، جوناثان، تاريخ الفكر المسيحي، (ص231).

(6) انظر: ستوت، دق جون، المسيحية والقضايا المعاصرة، (ص241).

(7) See: Kung, Hans, Women in Christianity, p 92).

(8) انظر: ستوت، دق جون، المسيحية والقضايا المعاصرة، (ص241).

وعلى الرغم من حقيقة أنه كانت هناك إحدى عشرة امرأة رُسمن بالفعل عام 1974م، إلا أنه لم يفعّل أي قانون كنسي يسمح برسامة النساء قبل 1977م، فلم تكن لا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ولا الكنيسة الأرثوذوكسية تسمحان بترسيم النساء. فعليًّا وبشكل جدّي يستند إلى قانون يعطي النساء حقهن في ذلك، ويجدر بالذكر أن إقصاء النساء من الرسامة أدَّى إلى لفت الانتباه نحو إقصاء النساء من التعليم اللاهوتي، فلم تكن هناك إمكانية لترسيم النساء بسبب أنهن لم يكن مُعَدَّات لاهوتيًّا كما يقال، لكن على الرغم من الذي يقال فالنساء لم يكن مُعَدَّات لاهوتيًّا؛ لأنهن كن مُبْعَدَات من التعليم اللاهوتي.(1)

في العقود الأخيرة من القرن العشرين حصلت المرأة على حق الدخول في التعليم اللاهوتي، بالإضافة إلى حق الرسامة، وأنتجت حزمة من المواد اللاهوتية حول موضوعات تمتد من رسامة النساء إلى الهرمنوطيقا النسوية التي كانت جزءًا رئيسيًّا من منظومة الفكر التحريري للمسيحيات.(2)

وبناء على ما سبق، يمكن القول بأن أهم ما حصل في تلك الفترة كذلك هو: استيعاب النساء المسيحيات، وتوسعهن في المجال اللاهوتي والتفسيرات الكتابية، فقد خضعت النصوص الكتابية، والتفسيرات التقليدية، والصيغ العقائدية التقليدية إلى فَحْص دقيق وانتُقِدَتْ بسبب تحيزاتها الذكورية.(3)

ويمكن القول بأن القرن العشرين كان بمثابة حصيلة إصرار النساء المسيحيات للحصول على مساواتهن الكاملة، فقد شهد هذا القرن خطابات دينية جديدة تحمل أفكارًا جديدة مطروحة مبنية على النقد والتمحيص لكل ما جاء في الفكر المسيحي.

ثالثًا: فترة القرن الحادي والعشرين

أصبحت قضية المرأة في بداية هذا القرن إلى يومنا هذا أولوية، ومنطلقًا مهمًّا؛ فقد شهد القرن العشرين أحداثًا كثيرة، كان من شأنها رفع مستوى الخطابات الدينية المتعلقة بالمرأة على مستوى الكنائس الحديثة، وهذا التغيير وإن كان متفاوتًا بين كنيسة وأخرى، إلا أنه بلا شك أحدث ثورة فكرية جديدة، تناسبت مع الأحداث المتسارعة في ذلك الوقت.

لذا فإن الأحداث المتغيرة مهَّدت الكثير للنساء في القرن الحادي والعشرين، وجعلت لهن أصواتًا تُسْمَع، وحضورًا قويًّا في عدة مجالات دينية، وحياتية، واجتماعية.

إنَّ من أهم ما يُمَيِّز هذه الفترة هو استمرار النساء المسيحيات في المطالبة بكلِّ ما أُتيح لهن من فرص للحصول على حقوقهن في جميع المجالات، مع الإصرار والتصدِّي لكلِّ العقبات التي تعيق آمالهن وطموحاتهن. فالخطابات الدينية المعاصرة في هذا القرن أصبحت متغيرة ومتطورة، تأثرت بشكل كبير بالحركات النسائية ومطالبها، بالإضافة إلى التركيز على قضايا تَعتبرها النساء في هذه الحركات مهمة، وربما جوهرية كإعمال لاهوت نسوي لتصحيح اللاهوت القديم؛ من خلال صناعة لاهوت شامل، لا يشمل النساء فقط كعضوات كاملات في الإنسانية والمجتمع المسيحي بأنفسهن، ولكن من أجل تحرير المرأة والرجل من الأيديولوجيا والممارسات التي تتحيز لجنس دون الآخر.(4) فغياب المرأة عن تشكيل تعليم مسيحي رسمي حفَّزهن إلى دراسة ونقد اللاهوت وقراءته قراءة فاحصة من وجهة نظر مختلفة، فعلى الرغم من مشاركة النساء في هذه الميادين كمتأملات ومعلمات

(1) حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم، الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص125–126).

(2) حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم، الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص126).

(3) انظر: حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص139).

(4) انظر: حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص 145).

وقيادات محلية، إلا أن تأثيرهن لم يُعتَرَف به إلا نادرًا، وحين يُعترف به فإنه كان يُعدَّل بحيث يتناسب مع القيادة البطريركية الذكورية.(1)

لذا دعت الحاجة إلى الإصرار ومقاومة كلِّ هذه الضغوط الممارَسَة ضدهن، وذلك بخلق أفكار ورؤى جديدة تخدم أهدافهن.

المطلب الثاني: أهم القضايا والمظاهر التي تناولها الخطاب المسيحي المعاصر للمرأة

لقد شهد التاريخ المعاصر للخطاب المسيحي المتعلق بالمرأة، تطورات وتغييرات جذرية، نقلت المرأة من صورة إلى أخرى مختلفة تمامًا، وإن من أهم هذه المظاهر التي ساعدت الخطاب المسيحي في التغيير والتطور، هي كالآتي:

1- ظهور اللاهوت النسوي.
2- تزايد معدلات العلمنة.
3- قيام بعض المؤسَّسات بإنشاء لجان متخصِّصة بأوضاع المرأة.
4- الانفتاح الفكري، وارتفاع المستوى الثقافي عند المرأة مما خلَق لديها وعيًا لمقاومة الظلم الواقع عليها.
5- قيام المؤتمرات الدولية للبحث في قضايا المرأة، كالمؤتمرات الثلاثة التي أطلقتها الأمم المتحدة بين عامي 1975 و1985م حول قضايا المرأة.
6- الظهور السياسي للمرأة، ومشاركتها في مقاعد البرلمانات، وإعطاؤها حق التصويت.
7- ظهور الهرمنوطيقا النسوية.
8- الاعتراف برسامة النساء، وحصولهن على بعض المناصب الدينية.
9- إتاحة فرص التعليم العالي للمرأة.
10- السماح بتولّي المناصب القيادية في بعض المؤسسات.
11- محاولة تحقيق الاستقلال الاقتصادي للمرأة.
12- ظهور النسوية المسيحية.
13- إلغاء دور الكنيسة في قانون الأحوال الشخصية وتربية الأطفال.(2)
14- انقسام توجهات الحركة النسوية إلى قسمين رئيسيين:

أ) حركات تحرير المرأة، والتي بدورها تهدف إلى تحقيق العدالة في المجتمع من خلال حصول المرأة على حقوقها السياسية، والاجتماعية، والدينية، دون المطالبة بالخروج عن التقاليد المتعارَف عليها.

ب) حركات التمركز حول الأنثى، وهي رؤية معرفية تقف على نقيض الحركة السابقة، وتدعو إلى إعادة صياغة التاريخ واللغة والرموز، بل والطبيعة البشرية. ولقد تعددت الأشكال التي توجهت المرأة المسيحية من خلالها لطرح أفكارها التي تنصبُّ بطريقة غير مباشرة إلى أفكار حركات التمركز حول المرأة كنقد الهرمونيطيقا الدينية، ونقد الأساطير والمجازات واللاهوت والدوجماطيقية الدينية.(3)

(1) انظر: حداد، إيفون، اسبوزيتو، جون، بنات إبراهيم الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام، (ص 146).
(2) اليافي، نعيم، وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور، (ص155).
(3) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص236).

وذهبت النسويات إلى اعتبار أن المسيحية فيها مصادر غنية تمنح المرأة القوة؛ فهم حرصوا على استعادة البناء الأسطوري للمؤنث الذي لا ينتج عن الخيال الذكوري فقط.(1) فقد ظهرت بوضوح رؤية جديدة تدعو إلى التمركز حول المرأة لبناء منظور ديني جديد في نظر هؤلاء النساء، لما شعرن بحاجة إلى بديل مختلف عن التقليد السائد، يمنحهن حق اختيار التعبير عن علاقتهن بالآلهة وبحياتهن الروحية.(2)

ومن أهم النتائج في هذا المضمار: عدم الرضا بالأشكال الدينية الموجودة، وظهور لون جديد من ألوان اللاهوت يسمى بالثيالوجي Thealogy (هو تحريف مقصود للفظ Theology للإيحاء بوجود إلهة)(3)، وهو يدعو إلى لفت الانتباه على وجه الخصوص إلى غياب الأنثى في اللاهوت، والدعوة إلى عبادة الربة بقصد بناء شكل جديد من الروحانية، والجدير بالذكر أن شخصية الربة تُستحضر من أجل تحدِّي هيمنة الرجل في مجال الدين، أو في واقع الحال؛ لإضفاء المشروعية على مطالبة المرأة بالحصول على السلطة والعدل على قدم المساواة مع الرجل.(4)

وبناء على ما سبق يمكن تلخيص الخطاب المسيحي المعاصر للمرأة:

1. خطاب متطوّر ومُتغيِّر اكتسب القوة من ضغوطات ومحاولات المرأة للحصول على أهم حقوقها فهو مختلف تمامًا عن الخطاب الديني القديم، خاصة مع وجود قراءة دينية جديدة مِن قِبَل النساء لكلِّ ما ورد في الفكر الديني المسيحي القديم.

2. لم يتغيَّر الخطاب الديني المسيحي للمرأة بشكل سريع، فمقاومات الرفض مِن قِبَل رجال الدين والكنيسة أجَّلت خطوة التغيير لفترة طويلة. ومن المهم الإشارة إلى أن الكنيسة قابلت التقدم الذي شهدته المرأة المسيحية من خلال الحركات النسائية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، باللامبالاة والرفض والتشدد، فقد كان رجال الدين –من خلال خطاباتهم– يحاولون إعادة ما كانت عليه الخطابات الدينية القديمة، واضطرت الكنائس لاحقًا إلى قبول واقع التغيير الاجتماعي الحاصل بشكل جزئي.(5) كابتداء قبول ترسيم النساء في النصف الثاني من القرن العشرين كما تم ذكره مسبقًا، إلى أن أصبحت المرأة اليوم تتمتع بقدر أكبر في ظل القبول التدريجي الذي حصل من الكنائس.

3. ظهور اتجاهات مختلفة مثَّلت الخطاب المسيحي المتعلق بالمرأة كالاتجاهات اللادينية متمثلة بالعلمانية وغيرها من الاتجاهات.

4. الخطاب الديني المسيحي المعاصر خلَق فجوة كبيرة بين الدين وبين القضايا المعاصرة، ومن ضمنها قضية المرأة؛ إذ يلاحظ من خلال مطالبات بعض ممن ينتمون إلى الحركات النسوية بتغيير قضايا جذرية في الدين، وذلك كرد فعل عكسيّ لما عانته المرأة قديمًا.

5. الخطاب المسيحي المعاصر كان ضرورة وحاجة لكلِّ النساء المسيحيات في المجتمعات الغربية؛ وذلك بسبب الظلم الذي عانته المرأة المسيحية لقرون عديدة.

---

(1) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص236).

(2) جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص241).

(3) لم أقف على قاموس احتوى على هذا المعنى، ويبدو أن السبب كونه جديد، ومُحرّف عن اللفظ الأصلي.

(4) انظر: جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، (ص241).

(5) See: Kung, Hans, Women in Christianity, p. 87).

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

يمكن تلخيص النتائج التي تم الوصول إليها من خلال هذا البحث، بعقد مقارنة بين الخطاب المسيحي القديم والمعاصر، وهي كالآتي:

أوجه الاتفاق:

عند عقد مقارنة بين الخطاب المسيحي القديم، والخطاب المعاصر المتعلق بالمرأة يلاحظ بأن أوجه الاتفاق كالآتي:

1. التناقض والاضطراب في كل من الخطاب القديم والمعاصر؛ من حيث التوجهات، والتذبذب في وجهات النظر.
2. اكتساح الفكر الذكوري وصعوبة التخلص منه، في كلٍّ من الخطابين القديم والمعاصر؛ لما كان للفكر الذكوري جذور وإرث متأصِّل لم يكن من السهل التخلُّص منه سواء كان قديمًا، أو في الوقت المعاصر.

أوجه الاختلاف:

1. الخطاب المعاصر منفتح تزامنًا مع الانفتاح الحاصل، بعكس الخطاب القديم؛ إذ استمر منغلقًا في إطار الموروثات اليهودية والفلسفات اليونانية.
2. اشتراك النساء في الخطاب المعاصر، وإثبات وجودهن والإدلاء بأصواتهن، بعكس الخطاب القديم؛ إذ يكاد الاشتراك النسوي أن يكون معدومًا.
3. ظهور رؤى مختلفة معاصرة تبناها كل من الرجال والنساء لا تقتصر فقط على رجال الدين، مما جعل منهم قوة ضاغطة على كل ما هو موجود.
4. الخطاب المعاصر لم يقتصر على السلطة الدينية، فقد أصبح بإمكان الجميع أن يُبدي رأيه، ويطالب بحقوقه.
5. الخطاب المعاصر للمرأة جعل للمرأة اعتبارًا ومكانة بعكس الخطاب القديم.

ثانيًا: التوصيات

1. عمل دراسات واقعية، تستند إلى إجراءات بيانية ترصد مدى تغيُّر واقع المرأة في مختلف الأديان.
2. التوجه إلى الدراسات المتعلقة بالمرأة بشكل عميق وجدي؛ وذلك لحيوية الموضوع، والحاجة المتجددة لفهمه في مختلف الأديان.
3. دراسة موضوع المرأة في الأديان دراسة تاريخية تستند إلى التأصيل العلمي الأكاديمي.
4. التوجه إلى ترجمة الكتب المعاصرة المتعلقة بالمرأة في الأديان.
5. دراسة المرأة في فكر آباء الكنيسة دراسة عميقة، وربطها بمكانة المرأة في المسيحية.
6. قراءة وترجمة قرارات المجامع الكنسية المتعلقة بالمرأة، وتأليف كتب خاصة بالقرارات.
7. عمل موسوعة تضم جميع المواضيع المتعلقة بالمرأة في الأديان.

المراجع

الأكويني، توما (د.ت)، *كتاب الخلاصة اللاهوتية*، (ترجمة: الخوري بولس عواد).

إمام، عبد الفتاح (1996م)، *الفيلسوف المسيحي والمرأة*، ط١، مكتبة مدبولي.

البار، محمد (2011م)، *دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية*، ط٢، دمشق: دار القلم.

بدوي، عبد الرحمن (1984م)، *موسوعة الفلسفة*، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بر، فتنت (1996م)، *حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم*، ط١، بيروت: مؤسسة المعارف

برون، جفري (2006م)، *تاريخ أوروبا الحديث*، (ترجمة: علي المرزوقي)، الطبعة الأولى، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

بندلى، كوستي (د.ت)، *المرأة في موقعها ومرتجاها*، (إشراف موريس أسعد)، مجلس كنائس الشرق الأوسط.

بيشوب، موريس (2005م)، *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى*، (ترجمة: على علي السيد علي)، الطبعة الأولى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الطبعة الرابعة، شركة ماستر ميديا، القاهرة، ٢٠٠٤م.

جامبل، سارة (2002م)، *النسوية وما بعد النسوية*، (ترجمة: أحمد الشامي، مراجعة: هدى الصدة)، ط٢، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

جون هينليسو (2010م)، *معجم الأديان*، (ترجمة: هاشم أحمد محمد)، ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

حاطوم، نورالدين، *تاريخ النهضة الأوروبية*، دار الفكر، سوريا، ١٩٨٥م.

حامد، باسمة (2005م)، *المرأة في إسرائيل*، ط١، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع.

حداد، إيفون، اسبوزيتو، بنات إبراهيم (2018م)، *الفكر النسوي في اليهودية والمسيحية والإسلام*، (ترجمة: عمرو بسيوني وهشام سمير)، الطبعة الأولى، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

خطابات القديس جيروم مع دراسة عن حياته وأعماله، الجزء الأول، ترجمه إلى العربية: القس يوحنا عطا، ترجمة عن اللاتينية: و.هـ. فرمناتل، ط١، مدرسة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٨م.

الخوري يوسف العلم (1987م)، *اعترافات القديس أغسطينيوس*، (مراجعة: الأب لويس الفرينسكاني)، ط٦، الجيزة المعهد الاكليركي الفرنسيسكاني الشرقي.

خوري، ايما، *المرأة في الكتاب المقدس من حواء إلى مريم*، تعاونية النور الأرثوذوكسية.

ديورانت، ول(2010م)، *قصة الحضارة*، (ترجمة: محمد بدران)، بيروت: دار الجيل.

الراسخي، فروزان (2004م)، *المرأة في العرفان الإسلامي والمسيحي حتى القرن الثامن الهجري*، (تعريب: عبد الرحمن العلوي)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الهادي.

أبو رزيزة، سعدية (1408هـ)، *مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام*، (إشراف صلاح عبد العليم إبراهيم)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

أبو زهرة، محمد (د.ت)، *محاضرات في النصرانية*، القاهرة: دار الفكر العربي.

السباعي، مصطفى (1999م)، *المرأة بين الفقه والقانون*، ط٧، بيروت: دار الوراق.

ستوت، دق جون (2007م)، *المسيحية والقضايا المعاصرة*، (ترجمة: نجيب جرجور)، ط٤، القاهرة: دار الثقافة.

طه، عزية، *تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام*، الكويت: دار القلم.

عبدالوهاب، أحمد (1989م)، *تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام*، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التوفيق النموذجية.

عجيبة، أحمد (د.ت)، *الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه*، دار الآفاق العربية.

فاخوري، مها (1998م)، *حقوق المرأة في المسيحية*، منشورات النور، بيروت.

الفرت، محمد (1991م)، *عقيدة التثليث في المسيحية وموقف الإسلام منها*، ط١، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مجموعة مؤلفين، مكتبة دار الكلمة، ط١، ٢٠٠٤م، القاهرة.

قاموس الكتاب المقدس (1995م)، الطبعة العاشرة، القاهرة: دار الثقافة.

القديس غرريغوريوس (د.ت)، *سر المعمودية ومياه التجديد*، ترجمة: أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي.

الكتاب المقدس (2011)، ط٧، دار الكتاب المقدس، القاهرة.

كتشانو، حنا، *دور ومكانة المرأة في المسيحية*، فلسطين: كنيسة الاتحاد المسيحي الإنجيلية.

كلارك، إليزابيث (د.ت)، *الآباء والمرأة، سلسلة آباء الكنيسة*، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة.

كواستن، جوهانسن(د.ت)، *علم الآبائيات باترولوجي*، المجلد الثاني، ترجمة: جرجس كامل يوسف، ط١، ٢٠١٧م، مركز باناريون للتراث الآبائي، مصر.

لوكير، هربرت (د.ت)، *كل نساء الكتاب المقدس*، القاهرة: دار الثقافة.

أبو المجد، عبدالجليل، حارث، عبد العالي (2011م)، *تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة*، بدون طبعة، المغرب: إفريقيا الشرق.

مارش، وليم (1973م)، *السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم شرح سفر التكوين*، بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

المسكين، الأب متى((1982م)، *المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى*، ط١، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون.

هيل، جوناثان (د.ت)، *تاريخ الفكر المسيحي*، مكتبة دار الكلمة، ترجمة: سليم إسكندر، ط١، ٢٠١٢، القاهرة.

هينليس، جون(د.ت)، *معجم الأديان*، ترجمة هاشم أحمد محمد، ط١، ٢٠١٠م، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

وهبة، مراد (2011م)، *المعجم الفلسفي*، القاهرة: دار قباء الحديثة.

اليافي، نعيم (1985م)، *وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور*، دمشق: منشورات مؤسسة الوحدة.

اليسوعي، الأب صبحي(د.ت)، *معجم الايمان المسيحي*، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨م.

يعقوب، سعيد (2017م)، *مكانة المرأة في الخدمة الكنسية والحياة الكنسية*، القاهرة: مؤسسة القديس أنطونيوس المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.

B.O'Donnell, F. Gabriel, M. (1971) *The Mother Of God*, Director of the Catholic Information Service, Knights of Columus: United State of America.

Cook, Roy, (2009*) a dictionary of philosophical logic*,Edinburgh Unniversity Press.

KarantNunn, S(2003), WisnerHanks, Merry, *Luther on Women*, (First Edition), Cambridge University, UK.

Kung, H. (2005), *Women in Christianity*, (translated by: John Bowden) third edition Continuum, London.

Mary, B(1983). P*hilosophy of Woman: An Anthology of Classical and Current Concepts*, Hackett Publishing Company,

Walters, M. (2005), *Feminism A very Short Introduction*, oxford University press, United.